حسين مروّة: كلمات حيّة

قدّم لها وجمعها
قاسم بركات



مقدّمة

في تاريخ الشعوب هناك دائماً أشخاص تتولّد في عروقهم عواصف الرفض وصواعق التمرّد وفي رؤوسهم رؤى وأحلامٌ لتغيير واقع مجتمعاتهم، وليرسموا مستقبلَ الأجيال التي تأتي بعدهم، ويكرّسوا حياتهم كلّها للنضال والتفاني في سبيل الآخرين.

وهذا التاريخ زاخرٌ بهؤلاء الأفذاذ الذين شهروا أقلامَهم بوجه أنظمة القمع والتخلّف وجالدوا ببسالةٍ في سبيل الحريّة والعدالة، بهدف صياغة حياة أفضل لمجتمعاتهم، ومن أجل مجد الإنسان والإنسانيّة معاً، ولكن كان مصيرُ معظمِهم القتلَ والتشريد والاغتيال!

هؤلاء يخلدون دوماً في ذاكرة شعوبهم، ويتحوّلون إلى مناراتٍ هاديةٍ على طريق المستقبل الصحيح.

وما شيخُنا الجليل ومفكرُنا العظيم حسين مروّة إلّا واحدٌ من هؤلاء الأفذاذ الذين انخرطوا في معركةٍ لا نهايةَ لها ضدّ القهر والظّلاميّة والتخلّف والجهل فكانت كتاباته

كابوساً على الطواغيت كلّ الطواغيت، والدافع إلى اغتياله.

أجلْ! لقد اغتالوا جسدَه، لكن أنّى لهم أن يتمكّنوا من فكره وأدبه.

وما أسهل أن يقلبَ الباحثُ في حسين مروّة صفحات تاريخه الغنيّ، كسياسيّ وكمفكّر وفيلسوف، ملقياً عليها نظرة تجميعيّة علّنا نجد في شخصية هذا الرجل مخرجاً إلى القول: هذا الرجل موسوعةٌ: موسوعةُ أفكارٍ وأدوار تتعذّر الإحاطة بها كما يستحيل اختزال غناها.

ولسنا ندّعي في هذه الأمّة القدرة على الغوص في بحر حسين مروة الذي يمكن القول إنّه «فيلسوف عصره» على نطاق الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وما دليلنا على ذلك إلّا أعماله الفكرية التي شغلت الكثير من المفكرين والباحثين، والأسطع منه موته بيد من قتلوه.

بعد المعتزلة والسهرورديّ والحلّاج وكافّة أفراد أسرة شهداء الفكر المغدورين، أجهز أمراء القتل المتحدّرون من الجهالة والعمى الروحيّ واغتالوا المفكّر التقدّمي، المحدّث للتراث العربي الإسلامي الفلسفي حسين مروة،

ظنّاً منهم أنّ المسدّسات يمكن أن تطفىء الشعلةَ التي يوقدها القلبُ والعقل.

لقد كان حسين مروة صاحب مناقبَ لا تعدُّ ولا تُحصى من ثقافة النجف الإسلاميّة إلى جامعة موسكو الماركسيّة أحد وجوه الاستمراريّة الزاخمة لكلّ عقلانيّة ونقديّة الثقافة والحضارة العربيّة الإسلاميّة وأحد أحفاد ابن رشد وابن خلدون المستوعبين للتراث الإسلامي النيّر.

ودليل ذلك كتابه «النزعات الماديّة في الفلسفة العربيّة الاسلاميّة»، هذا الكتاب الموسوعيّ، العقلانيّ التقدميّ الذي سعى فيه مروّة إلى تأسيسٍ مُجلٍّ جديد بصحبة التيزيني وحسن حنفي والجابري وفربان؛ السجل التراثي كمجالٍ صوفي وأيديولوجيٌّ متناقض وإنّما يوضح، بنصاعةٍ، قدرة العديد من المفكّرين المسلمين على العطاء الفكريّ، والحضاريّ، والإنسانيّ، وعلى وضع لبنةٍ عظمى في صرح حداثة العقل العربيّ المعاصر المنكبّة على دراسة الماضي من أجل رؤيةٍ بديلةٍ للمستقبل.

عاش حسين مروّة لعقودٍ طويلة وهو يقاتل، نادراً مع الآخرين وغالباً وحده، وبالقلم والكلمة المتوهّجة والروح المتوثّبة واللّهجة الزّاخرة، ولطالما أحزنه الجهل بالمعرفة

والثقافة أكثر من الأميّة: لقد عمل على شرحِ نصوصٍ عاشت الأمّة العربيّة والإسلامية لفترات طويلة على تحريفها.

لعلّهم الآن قلّة أولئك الذين لا يزالون يتذكّرون «الشيخ الأحمر» و «داعية الاشتراكيّة» والمحرِّض الأبلغ على الثورة والخروج على المستمرين في قمع الناس ومسلطي سيف الدين على رؤوسهم.

نعم، هذا هو حسين مروّة، وما هذه المقالات الواردة في هذا إلّا لتبيان مدى سعة المعرفة عنده في كافة المجالات السياسيّة والفكريّة والأدبيّة والدينيّة، إلخ. وقد عمدنا إلى اختيارها لنكشفَ عن جوانبَ عدّة في حياة فيلسوفنا الكبير وعن تعلّقه بالمبدأ الذي اختاره ولعلها خير دليل على ذلك.

ألا سوف يظلّ حسين مروّة هادي الثورة لأجيالنا الآتية، في الثقافة والدين والعلم والمعرفة، وتاريخه يستحقّ أكثر بكثيرٍ ممّا نال، وذاكرتنا بحاجة إلى إنعاشٍ أقوى.

قاسم بركات

لَهْج الحصار
والصّمود

أيّها التاريخ.. شكراً!

في العاشر من حزيران 1982، وقد بدأت ملامح ملحمة صمود بيروت في وجه الحصار الصهيونيّ والفاشيّ الداخليّ ترتسم على مشارفها، كتب الشهيد الكبير حسين مروّة في «النداء» هذه الكلمات:

جيلنا..

جيلنا الذي احترق مرتين من حربين كونيّتين.. ثم احترق أكثر من خمس مرّات في حروب متلاحقة على تراب عربيّ هنا وهناك..

جيلنا هذا يشكرك **أيّها التاريخ**..

جيلنا الذي مات مراراً ثم عاش مراراً، ثمّ هو الآن، في لحظة التجربة الجديدة، يمارس الاحتراق والموت من جديد، ليمارس الانبعاث والعيش من جديد..

جيلنا هذا ينحني أمام تواضعك ليقول لك: «**شكراً أيّها التاريخ**..».

أنْ نحترق ثم ننبعث، أنْ نموت ثم نعيش، ليس ذلك شيئاً من المعجزات، ليس ذلك اختراقاً لطبائع الأمور في وجودنا، ليس ذلك كسراً لقوانين النظام الكونيّ.. إنّ ذلك حقيقة عاديّة من الحقائق الدهريّة التي تصنعها أنت، أيّها التاريخ..

هي حقيقة عاديّة في مجرى النهر العريض لحركة التاريخ... لكن، هي عظيمة، وعظيمة في لحظات انطلاقها من بين ضلوع التاريخ، لتستقرّ نسراً هائلاً على شجرة في بستاننا العظيم، بستان هذا الكائن البشريّ العظيم: الإنسان...

هي حقيقة عظيمة... ندركها الآن، وهي في إحدى لحظات انطلاقها من بين ضلوع التاريخ...

ندركها؟...

لا، بل هي الآن احتراقنا من جديد...

هي الآن موتنا من جديد...

هي الآن احتراقنا وموتنا لننبعث ونعيش من جديد...

* * *

جيلنا الذي أطعمته الفرح العظيم مراراً، أيّها التاريخ... جيلنا الذي سقيته الحزن العظيم مراراً أيّها التاريخ... جيلنا هذا يفتح ذراعيه الآن، في هذه اللحظات الشرسة، ليقول لك: أيّها التاريخ.. شكراً لك: لأنّك الآن، وفي هذه اللحظات بالذات، تطعمنا الفرح العظيم، وتسقينا الحزن العظيم معاً، مرّةً واحدةً، ودفعةً واحدةً، وعلى مائدةٍ واحدة... على مائدة هذا الصدام الشرس بين نقيضين هما طرفا القضيّة ـ الجرح في خاصرة العصر...

هذا الصدام على التراب اللبناني يقع.

هذان النقيضان، على التراب اللبناني يصطدمان..

هذا الصدام، بين هذين النقيضين، على التراب اللبناني ينفجر، وفي وقته هذا ينفجر..

هل كلّ ذلك من نوع المصادفات، أيّها التاريخ؟.

إنّها القضية ـ الجرح ذاتها في عصرنا...

وأنت، أيّها التاريخ. أنت، لا المصادفات، قد اختصرت طرفي القضيّة النقيضين كونيّاً، ثمّ حصرتهما في إطار هذا التراب اللبناني... وجاء، عبر الحدود البعيدة

والقريبة، رافد سرطاني من خارج الجسد، يرفد الطرف السرطاني داخل الجسد، ليغتال الحياة في هذا التراب اللبناني... ليغتال الجذور المختمرة بحبّ الحياة والحريّة والديموقراطيّة في هذا التراب اللبناني... ليغتال بؤرة الضوء المشتعلة وحدها، في هذا التراب اللبناني، وسط ظلام الخيانة المطبق على الوطن الكبير...

* * *

أيّها التاريخ... شكراً!!..

لقد اختصرت كونيّة القضيّة، قضيّة الحرّية والديموقراطيّة والتقدّم... واختصرت طرفي القضيّة هنا في لبنان... إذن، فقد فسحت للحقيقة العظيمة أن تنطلق من بين ضلوعك، لتستقرّ نسراً هائلاً على شجرة الوطن، على جنوب التراب اللبناني... وليتحوّل النسر الهائل جيلاً جديداً من الأبطال... شكلاً جديداً من حبّ الحياة والحريّة والديموقراطيّة... معجزةً جديدةً من الاحتراق والموت اللذين هما الانبعاث، والخصب، ومواسم الفرح

العظيم التي ستخرج من رماد المعركة، ومن لهب الحزن العظيم. . .

جيلنا الذي احترق مراراً، وانبعث مراراً. . .

جيلنا الذي عاش ومات، بين الحزن العظيم والفرح العظيم، ألف مرّةٍ ومرّةٍ. . .

جيلنا الذي اختصر التاريخ فيهم مساحة القضيّة، واختصر فيهم شعلة القضيّة، ليتحوّل النسور المعجزة فيصيروا هم ينبوع التاريخ الجديد للفرح العظيم وللحزن العظيم معاً. . .

* * *

أيها التاريخ. . . شكراً!

*

فوهات الانفجار

لا بدّ من الانفجار..

تلك قضيّة لها قانون.. فلا عشوائيّة ولا اعتباطيّة في القضيّة..

قالوا: «الضغط يلد الانفجار»...

ذلك هو قانون القضيّة..

وتلك هي الصيغة «الخام» للقانون.. لكن الواقعات الملموسة والأحداث الجارية في نهر الحياة اليومي، تصنع دائماً من هذه الصيغة الخام صيغاً لا تحصى هي الأشكال «المنظورة» للقانون ذاته، أي هي وجوداته الزمانيّة في الواقعات والأحداث..

* * *

لا بدّ من الانفجار..

هذا أمر حتميّ لا يلغيه مظهر القشرة الباردة الصلبة

للواقع العربيّ، حتّى الآن، في علاقته مع الظاهرة ـ الملحمة في لبنان.

هي «قشرة» هذا الواقع العربي وليست جوهره، أي ليست هي الواقع ذاته..

ومن الخطر علينا هنا في لبنان، وعلى «الواقع العربي» في غير لبنان، أن تخدعنا «القشرة»... ببرودتها وصلابتها المثيرتين، عمّا يعتمل وراءها في الداخل وفي العمق، في حنايا الهيكل وفي تلافيف الجسد العظيم... إنّه خطر اليأس أولاً، وخطر الاستسلام الفعليّ لنتائج اليأس ثانياً، ثم الخطر الأكبر، أعني الانحراف، فكراً وسلوكاً، عن نهج القضيّة الجامعة التي لا تزال ـ وستبقى ـ قضيّتنا جميعاً، أيْ قضيّة أن نصير جميعاً احراراً أو عبيداً..

* * *

الواقع العربي؟.. أي واقع عربي؟..

واقعنا نحن أعني.. واقع الشعوب العربيّة، أي جماهيرها الشعبيّة.. هذه وحدها أعني..

أمّا الواقع العربي «الآخر».. أي واقع الحكّام العرب ومن يمثّلون في المجتمع العربي، فإنّ من طبائع الأمور ومن منطقها الواقعي أن يتعامل هذا الواقع «الآخر» مع أحداث الغزو الصهيوني ـ الامبريالي للبنان، ومع محاولة اغتيال الثورة الفلسطينيّة، بهذا الشكل من التعامل... هذا الشكل البارد الهادىء الذي معناه: الرضا كلّ الرضا، والتوافق كلّ التوافق... إن لم نقل التواطؤ.

واقع جماهيرنا العربيّة وحدها أعني..

* * *

لم ينفجر ـ بعد ـ هذا الواقع العربي الجماهيريّ... لماذا؟

هل هذا «الواقع» نفسه قد فقد حاسّة السمع، أو حاسّة الرؤية، أو حاسّة «الشمّ» أو أيّة حاسّة أخرى، فلم يستطع أن يرى، أو يسمع، أو «يشمّ»، أو يعرف شيئاً ممّا حدث لشعب لبنان وللوطن: لبنان... أو شيئاً ممّا حدث ويحدث لقضيّة فلسطين ولثورة فلسطين؟..

ألف سؤال كهذا السؤال يزدحم في مجاري أنفاسنا.. فأين الجواب؟..

وهذه «القشرة» الباردة الصلبة لهذا الواقع العربي الجماهيري، متى تنفجر عن «جوهر» هذا الواقع، أو متى ينفجر هذا «الجوهر» وينبذ «قشرته» الباردة الصلبة هذه؟.

* * *

جماهيرنا العربية ليست فاقدة حواسّ «الوجود»، ولا حواسّ «المعرفة» ولا حواسّ المسؤوليّة الكفاحيّة.. وليست فاقدة عوامل «الضغط» الذي يلد الانفجار.. وقانون «الضغط والانفجار» ليس فاقداً شموليّته وحتميّته وسرّ فاعليّته..

لكنّ الضغط الذي يلد الانفجار ليس مطلق اليد، مطلق السراح، يفعل فعله دون مقاومة.. هذه هي المسألة..

الضغط الذي يلد الانفجار، يصارع «قانوناً» آخر... إنّه يصارع «قانون» المقاومة. وهذه المقاومة تسدّ عليه كل المنافذ... وهذه المقاومة هي «الواقع العربيّ الآخر».

هي جبروت القمع والقهر المسلّط على «الواقع العربيّ الجماهيري»، بشراسة تفوق ـ أضعافاً ـ طاقة قانون الضغط الذي يلد الانفجار.

* * *

لا بدّ من الانفجار..

ولا بدّ للصراع بين قانون الضغط وقانون المقاومة أن ينتهي إلى الانفجار..

لا بدّ لحتميّة قانون الضغط أن تفتح ـ في لحظة مفاجئة ـ فوهة هنا وفوهة هناك للانفجار، ويخرج الطوفان..

*

«النداء» 18/ 6/ 1982

نافذة على الفرح

كلمة نشرتها «النداء» يوم 19/ 6/ 1982
إبّان احتدام المعركة أثناء بداية الاجتياح
الإسرائيليّ، وقد كتبها الشهيد الكبير
لمناسبة عيد ميلاد القائد نقولا الشاوي
السبعين.

الفرح العظيم لا يجيئنا في سراب الزمن ـ الصفر... لا يجيئنا على صفحة البياض ـ العدم...

في لحظات الزمن المفعم بالتوتّر حتى الانكسار، يأتينا..

من أغوار الليل ـ المأساة يخرج علينا..

ومن على موج المد الكارثي يشرف على سفينتنا..

الفرح العظيم لا ينبجس إلا من بؤرة الحزن العظيم..

* * *

من زاوية الحزن المقدّس: حزن الوطن، وحزننا للوطن، نفتح اليوم هذه النافذة على الفرح.. لكن، على الفرح النابع من قضية الوطن، لا من خارج القضية...

في العيد السبعين لمولد رفيقنا الكبير، نقولا الشاوي، تنفتح لنا هذه النافذة، لنتعرّف ـ بعمق ـ على معنى الفرح العظيم منبجساً من بؤرة الحزن العظيم..

أن نفرح بعيدك، يا رفيقنا العزيز، يعني أن نفرح بمجد نضالك الذي نذرته لمجد الوطن.. ولقد وفيت له النذر بأبهى أشكال الوفاء...

... واستحقاقك وسام أوكتوبر من صانعي ثورة أوكتوبر العظمى وحماتها، يعني استحقاق حزبك الذي رعيت مسيرته في أيّام المحن، وحميت وحدته ومثله الوطنيّة والأمميّة بوجه أشرس عاصفة كانت ترمي إلى تقويضه وإلى تشويه تاريخه النقيّ الراسخ جذوراً في تاريخ نضال شعبنا التحرّريّ وفي تاريخ طبقته العاملة المجيدة.

* * *

من هذه النافذة المضيئة يدخل اليوم إلى حزبنا

المقدّس فرحٌ يأتي إلينا من تفاصيل ذاتك: من كونك الشيوعيّ الرفيق والقائد، ومن كونك الإنسان والصديق، ومن كونك المثقّف والمفكّر، ومن كونك الذوّاقة للفنّ والأدب ببالغ الرهافة والشفافيّة والنفاذ إلى الجوهر..

* * *

... ومن هذه التفاصيل الجميلة يدخل اليوم إلى حزبنا الوطني فرح آخر يدعونا إلى تعميق جذورنا في حياة الحزب وحياة الشعب وحياة الوطن.. وهذا الفرح نفسه يدعونا إلى الحذر من الاستغراق في تفاصيل المأساة الداهمة، إلّا من حيث ندخل عبرها في خنادق الملحمة القادمة...

* * *

شكراً لعيدك يا رفيقنا الكبير..
شكراً للفرح تتوهّج به جراح الوطن

*

الحزن القاتل.. والحزن المقاتل

ـ «على الشاطىء لحظة المغيب، نرى الشمس والبحر يلتقيان عند الخط الوهميّ الذي يرسم نهاية أفق الرؤية.. هل هما يلتقيان؟».

قال: «ماذا تريد أن تقول؟».

ـ «أريد، أوّلاً، أن تسجّل فداحة هذه الخدعة: نرى الشمس والبحر يلتقيان، على حين يستحيل أن يلتقيا.. وأريد، بعد هذا، أن تقيس على هذه المسألة مسألة ما نحن فيه..

«أنت حزين، لا شكّ حزين لوطنك وشعبك وقضيتك، منذ امتداد الغزو الصهيوني ـ الإمبريالي في شرايين التراب اللبناني... وذلك الفتى الذي كان الحديث عنه، هو أيضاً حزين للسبب نفسه، لكن، هل حزنك وحزنه يلتقيان؟..».

قال: «لم أفهم..».

ـ «أرجوك أن تفهم أنّ الشبه بين حزنك وحزنه خدعة كخدعة الالتقاء بين الشمس والبحر..».

«لا شكّ أنّ كليهما اسمه الحزن.. لكنّ الاسم بذاته لا يعني شيئاً إذا كان المعنى مختلفاً بين الحزن والحزن بل متناقضاً..».

* * *

عصر أمس زرته متفقّداً حاله، وأنا أعرف كيف ستكون حاله، أعرف كم ستكون صدمة الاحتلال الغاصب الغادر فاعلة في كيانه.. لكن لم أتوقّع أن يبلغ أثر الصدمة ما رأيت من الانخذال والانهزام وفقدان التّوازن فكريّاً ونفسيّاً وجسديّاً.. رأيته «يهرطق» وطنيّاً ومبدئيّاً دون ضابط..

ليس الرجل جباناً، بل أعرف منه العكس، فهو شجاع، وشجاعته مجرّبة، وليس الرجل ضعيف الوطنيّة، بل أعرف فيه صلابة الوطنيّة.. ووطنيّته أيضاً مجرّبة.. لكن المسألة أنّ شجاعته ووطنيّته تقومان على أساس فكريّ ليس بالمتين.. هذا أوّلاً أمّا ثانياً، فالمسألة أنّ

تجربته في حقل العمل الوطنيّ لم تخرج به عن دائرة العمل المكتبيّ، أيْ لم تصل به إلى حيث يرى الناس البسطاء كيف يمارسون وطنيّتهم على الطبيعة، عمليّاً، دون تكلّف، ولم تصل به ـ طبعاً ـ إلى حيث يمارس الوطنيّة بالطريقة التي هم بها يمارسون.

* * *

توّاً، فور وصولي، بدأته بالسؤال عن قريبه، «الفتى» المحارب في معارك الجنوب ضدّ الغزاة..

عرفت منه أن قريبه «الفتى» لا يزال في خطوط المعركة.. ثمّ سحب من على مكتبه صحيفة ليريني صورة «الفتى» نفسه وهو قابض على سلاحه في مكمن من على إحدى تلال الجنوب..

قال: «بلغني إنّه حزين، حزين جداً..».

ـ «تعني: كحزنك هذا الذي أرى؟..».

فقال: «لا فرق.. الحزن هو الحزن..».

ـ «ما أبعد المسافة بين البحر والشمس.. وما أبعد المسافة بين الحزن هذا.. والحزن ذلك!..».

قال: «من أين تعرف؟..».

ـ «هل حالك التي أرى من الانخذال والانهزام وفقدان التوازن.. و «الهرطقة» الوطنيّة والمبدئية... هل حالك هذه تشبه حال «الفتى» المتشبّث ـ لا يزال ـ بموقعه من المعركة رغم امتداد الاحتلال الغامر الغادر، ولا يزال قابضاً على سلاحه فوق هذه الصخرة، وعيناه تجولان، كعيني نسر، في كلّ جهات الأفق المحدق به كما يحدق به الخطر عن كلّ جهاته؟..».

قال «الحزن هو الحزن..».

ـ «لا.. هذا يشبه القول الشمس هي البحر أو البحر هو الشمس..».

* * *

ـ «الفرق يا صديقي:

أنّ حزنك هو الحزن القاتل، إنّه يقتلك أولاً، وإنّه ـ أوّلاً وآخراً ـ قاتل من القتلة في صفّ العدوّ.. إنّه يوجّه الرصاص، نفسيّاً ومعنويّاً، إلينا في معركة الصمود التي هي الآن عماد معركتنا الوطنيّة ـ القوميّة ـ الديموقراطيّة كلّها.

وأنّ حزن «الفتى» في مكانه من المعركة ذاتها، هو الحزن المقاتل.. إنّه الحزن المقدّس، إنّه «الحقد الشريف»... إنّه الشكل الأجمل والأنبل للحزن العظيم..».

«النداء» 20/ 6/ 1982

صمودنا . .
سيهزّ صخور العالم

كلّ صخور العالم!

الصخور المكتترة بالينابيع الأسخى، والأنقى، والأشهى . .

والصخور المختزنة باللهب الأعظم طاقة وطموحاً . .

والصخور المسكونة بأسرار الضياء، وأطياف الضياء، وحكايا الضياء . .

والصخور المشحونة بأجمل أغاني الدهور . .

. . حتى الصخور المتحجّرة التي لا تضمر شيئاً غير ثقل الحجارة، وصمت الحجارة . .

صمودنا . . صمودنا الذاتي: السياسي، العسكري، الاجتماعي، الفكري والثقافي . . صمودنا هذا، هو ـ لا غيره ـ سيهزّ كلّ الصخور . .

كلّ صخور هذا العالم، في هذا العصر: ستتحرّك،

ستهتزّ، ستنطلق.. ستقول الكلمة ذاتها التي نقولها نحن صامدين، ستقول معنا باصرار: «أيّها الصهاينة الغزاة الغاصبون.. إرفعوا ظلمكم، ظلم العدوان والاحتلال، الثقيل، البغيض، المتوحّش عن لبنان»..

* * *

ـ لماذا ستهتز؟..

ـ إنّها، بالفعل، تهتزّ.. إنّها الآن تهتزّ..

* * *

هوذا اليوم الحادي عشر من الشهر الثاني من زمن الغزو الصهيوني ـ الأميركي الهمجي..

دار «الزمن» دورته اليوميّة واحدة وأربعين مرة، حتّى الآن..

هل كان هذا الدوران شكلاً من التراكم الزمني المجرّد؟.. وهل كان التراكم الزمني هذا تراكماً احتلالياً يدخل ويترسّخ في عمق أرضنا وفي عمق شعبنا؟

ذلك وهمٌ من أوهام الناس، الذين يشدّهم مأزق هذا

الاحتلال، كلّ يوم، إلى ابتداع ضروب من الحيل الخادعة للناس، كي تهرب من قبضة القلق وأشباح الرعب.

هذا التراكم الزمنيّ ليس مجرّداً، وليس تراكماً احتلاليّاً في العمق ولا في الأفق..

هو ـ واقعيّاً ـ تراكم مستمرّ لصمودنا المستمرّ.. وهو، من هنا، يعني تراكماً للمأزق الذي يعانيه فرقاء الاحتلال جميعاً: الصهاينة، والإدارة الأميركيّة، والفاشية اللبنانية، والرجعية العربية..

وهذا التراكم، يتحوّل ـ بكلا وجهيه هذين ـ تحوّلاً سيكون في القريب، نوعيّاً وجوهريّاً.. يتحوّل إلى نوعية جديدة في صمودنا، وإلى نوعيّة جديدة في مأزق الاحتلال وفرقاء الاحتلال..

كلّ دورة يوميّة جديدة في زمن هذا الغزو الهمجيّ تشهد شكلاً من التحوّل.. طلائع هذا التحوّل نراها في «سيناريو» متسلسل متماسك للأفعال وردود الأفعال، لبنانيّاً، وإسرائيليّاً، وعربيّاً، ودوليّاً، وعالميّاً...

لننظر كيف يتطوّر صمود شعبنا ويرتفع ويترسّخ، أوّلاً..

وكيف يتطوّر التشرذم والتمزق في صفوف حكّام إسرائيل ثانياً...

وكيف تتطوّر معارضة الغزو والعدوان في صفوف الناس الذين تحكمهم إسرائيل ثالثاً..

وكيف يتطوّر التناقض والارتباك والتراجع في صفوف الزمرة المسيطرة على الإدارة الأميركية رابعاً..

وكيف يتطوّر التحرّك الدولي العالميّ والشعبيّ على مدى القارات والاقاليم والشعوب، تأييداً لقضيتنا الفلسطينية، وشجباً للاحتلال وفرقاء الاحتلال، خامساً..

* * *

ما كان يمكن أن نتوقّع حدوث شيء ممّا يحدث الآن، خلال هذا «السيناريو» اليومي المتحرّك المتطوّر، المتحوّل، لولا صمودنا، لولا وعينا ضرورة هذا الصمود واستمراره متصاعداً متطوّراً، حتى انفجار قوى الاحتلال على هذه الأرض..

* * *

هكذا: صمودنا سيهزّ كلّ صخور العالم..

*

المستشفيات الميدانيّة . .

سلاماً

أعادت «النداء» نشر الكلمة الحية التي تذكّرها م. بليدي في تعليقه لـ «الثورة الافريقية»، وكانت هذه الكلمات الحية للشهيد الكبير قد صدرت في زاويته اليومية أثناء حصار بيروت، على صفحات «النداء»، بتاريخ 14 تموز 1982، تحت عنوان «المستشفيات الميدانية. . سلاماً».

أعود اليوم إلى موقعي المتواضع هذا في جبهة «الوطن المقاتل»، وفي يدي حفنة من زهر الياسمين. . .

سأقول لكم أوّلاً: لماذا زهر الياسمين بالذات؟

المسألة هي أن بيني وبين الياسمين علاقة متميّزة جداً، أي أنّها عزيزة جداً. . لهذه العلاقة بدايتان، قديمة وجديدة:

بدايتها القديمة هي: طفولتي، فقد تفتّحت طفولتي

وشجرة الياسمين معاً في دارتنا الجميلة ـ أعني التي كانت جميلة ـ في قريتنا «حدّاثا» الجنوبيّة...

وبدايتها الجديدة هي: طفولة «ياسمين» بنت نزار..

أمّا النهاية، فلن يكون لهذه العلاقة أن تنتهي بعد رحيلي، إلى الضفة الأخرى لنهر الأبد...

* * *

والآن...

لماذا أعود إلى موقعي المتواضع هذا، وفي يدي حفنة من زهر الياسمين؟...

المسألة، هنا، هي: إنّ الذين أحمل إليهم هديّة الياسمين العزيزة، قد اتّخذوا موقعاً في جبهة «الوطن المقاتل» يصنع من هذه الجبهة ما يصنعه الياسمين في جبهة الزهر والشجر...

الذين أحمل إليهم هديّة الياسمين، اليوم، هم أولئك الذين يرصدون جسد المعركة في خطوط النار، ليلهموا جراح المحاربين الأبطال فرح الحياة... ليضخّوا من جديد دم القوّة والعافية في سواعد المحاربين الأبطال...

ليعيدوا وجه المعركة إلى المحاربين الأبطال، ويعيدوا وجه المحاربين إلى المعركة، فيلتقي الوجهان من جديد على خطوط النار، وتعود النار تستعر من جديد، فتشوي وجوه أعداء الوطن، حتى يتطهر منهم تراب الوطن.

* * *

كما زهر الياسمين يشعّ فرح النقاء والبشاشة، هكذا تفعل أيدي الأطباء والممرّضين والإداريين والحراس، نساءً ورجالاً، في المستشفيات والمستوصفات الميدانيّة، حين تمارس أيديهم نبل العلاقة مع آلام الناس المناضلين والطيبين.

كما زهر الياسمين يتنفّس البهاء والحبّ، هكذا يصنع كل العاملين في المستشفيات والمستوصفات الميدانيّة، حين هم يمارسون جمال العلاقة مع جراحات المحاربين في خطوط النار.

* * *

سلامٌ أيّتها الأيدي الياسمينيّة العطرة...

سلامٌ أيها الرابضون، بدينامية، في مواقع الجراح المتأهبّة، لعناق المعركة من جديد...

سلامٌ أيّها الجنود المحاربون، بتواضع، في خطوط الدم العائد إلى جسد المعركة...

وسلامٌ أيّها الطبيبان العزيزان، هناك، اللذان أعاداني - سريعاً - إلى موقعي المتواضع، هنا، في جبهة «الوطن المقاتل»...

*

أطباؤنا ملائكة الرحمة
وحضنة القتلى والجرحى

للّه كم كشفت هذه الوثبة الوطنيّة المظفّرة من كنوز روحيّة كانت مذخورة لهذا الموقف العظيم، ولأمثاله من مواقف البطولات التي ستنبثق منها الإرادة العليا الصارمة لهذا الشعب العظيم!.

للّه كم كشفت هذه الجولة الأولى التي وقف فيها الشعب الأبيّ أمام الناكرين لأمره وقفة الجبّار الفدائيّ الباسل!.

للّه كم كشفت هذه الجولة الأولى الرائعة من أسرار النفوس، وذخائر العواطف المتسامية فوق ما نعرف من التسامي في النفوس والعواطف!.

دعوني الآن من استعراض هذا الثّبت الحافل بالضحايا المتهافتة على الموت في معركة الشرفاء والاباء.

ودعوني الآن من استعراض هذه المواكب الدفّاقة إلى

المعركة كأنّها مواكب النور تتدفّق إلى الآفاق الفساح لتهزم ظلام العبوديّة المتراكم طبقات فوق طبقات.

ودعوني الآن من استعراض هذه الزهرات النضرات من فتيات الوطن تساقط نفسها دفعاً دفعاً إلى قلب البركان المتدافع بالحمم، القاصف من أفواه «الرشاشات» والبنادق، لكي تقول لشعوب الأرض كافة أنّ في «السويدا» رجالاً ونساءً معاً.. يحميان الذمار، ويدفعان العار جنباً إلى جنب، وقلباً إلى قلبٍ، وضحيّةً إلى ضحيّةٍ، وفداءً إلى فداء.

دعوني الآن من استعراض هذا كلّه! فلقد اغناكم العيان عن الوصف، ولقد اغنتكم الحقيقة الهائلة نفسها عن كلّ ما يزوّقه الخيال وما يزخرفه الوهم.

ولكن تعالوا معي إلى ساحات المعركة في أيامها الغرّ، المحجلة، الخالدة: تلك الأيام القصار الطوال معاً، ثم انظروا إلى هؤلاء الأبطال الذين كانوا يحملون إنسانيّتهم المباركة مضمّخة بعاطفة الخير والمحبّة، متسامية بنكران الذات، ونبذ المنافع العاجلة والآجلة في آن، مترفّعة عن مذلّة الجبن، وعار الاستخذاء، وحقارة الخنوع لجبروت الجبّارين، وغطرسة الأمّارين.

تعالوا معي إلى ساحات المعركة في تلك الأيام القصار الطوال معاً، تلك الأيام الغرّ المحجلة الخالدة، ثم انظروا إلى هؤلاء الأبطال الذين حملوا إنسانيتهم المباركة في دفقات قلوبهم، وحملوا دماءهم الزكيّة على راحات أكفّهم، ثم شقّوا الصفوف الملتحمة، وواجهوا قذائف النار المتدافعة، ثمّ راحوا يحنون بأجنحتهم العاطفة، وأيديهم الناعمة الرحيمة على أجساد الضحايا، وجراحات المصابين، يلملمون الأشلاء المتناثرة من هنا، ويمسحون الدماء المتدفقة من هناك ويضمّدون الجراحات المعطّرة من هنالك، لا يبالون بالموت يفتح لهم أشداقه، ولا يبالون بالهلاك ينشر فوقهم أجنحته السود.

تعالوا معي إلى ساحة الشرف تلك، وانظروا إلى هؤلاء الأبطال، تعرفوا أيّ كنوز مذخورة تنجلي عنها هذه الغمرة الغامرة، وأيّ عواطف متسامية تكشفها لنا هذه الجولة الأولى المظفّرة.

تعرفوا أن هذا الوطن شعباً يدخر كل كنوزه إلى يوم تقف فيه المحنة على ساقٍ، ويعتكر فيه ظلام الخطب حتّى لا يكون منفذ واحد من منافذ النور...

*

كأنه

الشعر

هذه قامتي أيها الحزب

عانقتُ المسافة إليك، طويلاً..
صارعتُ المسافة إليك، طويلاً..

* * *

كانت المسافة إليك بحراً رمادياً..
كانت صحارى عمياء دون حدود.. وأسواراً دهرية جليدية..
من القطب الكوني البعيد البعيد، الى القطب الكوني الآخر، كانت المسافة إليك..
لكنّي عانقت البحر الرمادي،
صارعت الصحارى الترهيّة،
اخترقت أسوار الجليد الدهرية،
عبرت ما بين القطبين الكونيّين،
ووصلت..

* * *

وصلت إليك، فإذا المسافة «لا مسافة»..

رأيتك قريباً، حتى كأني لم أعبر إليك سوى اللحظة الأخيرة نفسها التي أوصلتني إلى رحابك..

رأيتك قريباً، حتى كأنما المسافة إليك لم تكن سوى الخطوة الأخيرة نفسها التي أرست بي على إحدى أبهى ضفافك..

آه.. ليتك تعرف كم رأيتك قريباً، كم كنت منك قريباً!!.

ليتك تعرف أنّ الرحلة اليك،

رحلتي،

بدأت مذ أنت بدأت رحلتك الكفاحية من واقع الوطن إلى حلم الوطن.. أي إلى الحلم الذي شرعت توّاً تصنعه مع شعبك، مع القوى الثورية من شعبك، ليكون الواقع الأفضل للوطن!!.

في عام بدئك المسيرة مع طلائع القافلة الثورية لشعبك، منذ خمسة وخمسين عاماً، في ذاك العام ذاته، كانت بداية رحلتي إليك، أيّها الحزب..

* * *

ـ «يا للمفارقة!..»: سيقول الذين يعرفون رحلتي تلك من بدايتها..

وهي حقاً «مفارقة» عند من لا يعرفون المسألة إلّا من وجهها العادي..

إنّهم لا يعرفونها، تلك البداية، إلّا ذهاباً في «الجهة»، بعيداً عن الموطن المنطلق لرحلتك الكفاحية في سبيل الحلم الذي طفقتَ تصنعه مستقبلاً سعيداً لشعبك، أيها الحزب..

وانهم لا يعرفونها إلّا ذهاباً، في «الاتجاه»، بعيداً عن اتجاه مسيرتك الثورية مع طلائع القافلة الطليعة من جماهير شعبك، أيّها الحزب..

وانّهم لا يعرفونها إلّا ذهاباً، في «الفكر»، بعيداً عن المدار النظري العلمي لحركتك النضالية الطبقية ـ القومية في آنٍ معاً، أيّها الحزب..

لكن،

لو أنّهم يقرأون الواقعات في حركة «تاريخيّتها» الاجتماعية الكلية، لا في حركة «مكانيتها» الساذجة الجزئية!!.

لو أنهم يقرأون «العلاقة» بين القطبين النقيضين بدل أن يقرأوا «المسافة» وحدها بين القطب والقطب..

لو أنهم يقرأون الرحلة في «أبجدية» الحياةِ، المجتمع والتاريخِ بدل أن يقرأوها في «أبجدية» الجهات والجغرافيا وخطوطَ العرض والطول البكماء...

إذن،

لقرأوا بداية رحلتي إلى المعرفة، في ذلك العام ذاته، إنها بداية رحلتي إليك، أيها الحزب..

كلّما قرأوا نهاية الرحلة نفسها، إنها نهاية البحث عنك، وبداية الوصول إليك..

ـ «إلى المعرفة»، قلت..

نعم، إنّ بداية الرحلة إلى المعرفة هي بمنطقها الصحيح بداية الرحلة إليك، وإلّا... فلا بدّ أن يكون منطقها غير صحيح، أي لا بدّ أن تكونَ جهة المعرفة انحرافاً عن منطق المعرفة.

وعند الوصول إليك، أيّها الحزب، اكتشفت أن ضياع نصف قرن من حياتي في رحلة المعرفة، لم يكن ـ كما قالوا ـ ذهاباً في «الجهة» أو «الاتجاه»، بعيداً عن منطلق المسيرة النضالية الثورية الطليعية التي هي مسيرتك.. ولا

بعيداً عن المدار الفكري الذي هو مدارك... ولا بعيداً عن مسارات الوعي المعرفيّ الاجتماعي التي هي أصل الاتجاه إلى مساراتك..

وعند الوصول إليك، رجعت إلى الذاكرة أقرأها تاريخاً من حياتي في رحلة المعرفة، لأجد العلاقة بين القطبين النقيضين تعانق المسافة بينهما وتصارعها في وقت واحد، في حركة واحدة، في واقع بشري تاريخي واحد... ثمّ لأجد منطق العلاقة يتحول بمنطق المسافة عن البعد إلى القرب، وعن الاغتراب إلى الاستئناس.

وعند الوصول إليك، عرفت أن الكثيرين الذين يظلّون أسرى الانغلاق في دائرة أحد القطبين النقيضين، إنما يظلّون هكذا لأنهم، في الأصل، أسرى الأجهزة المعرفية الجاهزة السائدة الساكنة، لا يستطيعون التحرّر، أو لا يجرؤون على التحرر من سلطانها، أو سلطان عادة الخضوع لأدواتها القمعية..

وفي رحلتي إلى المعرفة، منذ خمسة وخمسين عاماً، وجدتُ بي حتى في بداية الرحلة جسارةً تشبه المغامرة على الانفلات من ذلك الأسر، وعناداً في تحدّي القمع لإرجاعي إلى حظيرة «الطاعة المطلقة»..

وعند وصولي إليك، أيّها الحزب، زدتني يقيناً بأنّ ذلك كان الطريق إلى سرّ العلاقة الصحيحة بين التراث والحداثة، بين «تاريخية» التراث والأداة المعرفية المعاصرة لاستيعابه.

ومنذ الانعطاف التاريخي، في مؤتمرك الثاني أيها الحزب، بدأ التحوّل النوعي في ممارستنا العلاقة بالثقافة والمثقّفين يمنحنا المزيد من الجسارة والعناد في تحدّي الجمود والانحباس والجفاف الفكريّ الذي يأتي من الانغلاق في دائرة أحد القطبين النقيضين على أساس «المسافة» وحدها بينهما، دون جدّية «العلاقة»..

ونحن الآن، في مرحلة المؤتمر الرابع، مؤتمرك العظيم أيها الحزب، نعيش مرحلة الاندفاع الداخلي الطوعي نحو ممارسات عملية فعلية تترجم مدى عمق ذلك التحوّل النوعي عندنا في استيعاب مضمون العلاقة الثورية بين الكفاح الاجتماعي ـ السياسي وبين النشاط الإبداعي في مجالات الأدب والفكر والفن والعلم..

* * *

حزبي الحبيب،

عيدك الخامس والخمسون يدفع قامتي ارتفاعاً إلى مدى قامتك العملاقة، حتى أراك في عام مولدك،
وحتّى أراني في العام نفسه أرحل اليك..
عيدك الخامس والخمسون يدفع قامتي ارتفاعاً إلى مدى قامتك العملاقة،
حتّى أجدك منتشراً في ذرّات كياني ووجداني،
حتّى أجدني منتشراً في مفاصل تاريخك ككائن شبوعي يحسّ بعمق شرف الأمانة لحزبه بقدر ما يحسّ ـ بعمق ـ شرف الوفاء لشعبه..

*

من مذكّرات. . «حدّاثا»

«إنّها فيتنام جديدة على بعد نصف العالم»

الجمعة 17 ـ 3 ـ 1978:

انقطع عن زيارتنا اليوم «شيخ الجيران» والسيّد جـ. . . لم ينتظره هذه المرّة، خلافاً لعادته كلّ يوم منذ عشر سنوات. .

في هذه اللحظة، وكل الأشياء هاربة حتّى من أسمائها. . وكل الألوان والأصوات والصور المرئية والأفكار والأحلام. . كلها تتساقط. .

تتساقط. . من أين، إلى أين؟ لا أعرف إلّا أنها تتساقط. .

في هذه اللحظة، وأنا نقطة دم تحترق، فتطفو على سطح العالم، وتملأ مساحة العالم، وتزرع «فيتنام» جديدة في ذاكرة العالم. .

في هذه اللحظة تماماً.. تماماً.. تذكّرت «شيخ الجيران».. وحده كان «الحاضر» هنا، كما هو.. رغم انقطاعه عن زيارتنا اليوم!.

«حضرتني» هيئته الوقور بكل «لوازمها»، وهو جالس في منزل السيد جـ. يحدّث. كان دائماً يحدّث عن «الأرض».. كان دائماً يقول ويكرّر: «الأرض، كالناس، تشقى وتسعد..».

غريب!. ما من مرة سألت «شيخ الجيران»: «كيف تشقى الأرض وتسعد؟». ما معنى شقاء الأرض وسعادتها؟ ماذا كان يريد أن يقول لنا وهو يردّد ويؤكّد حديث الأرض، بنطقه الوقور، وعينيه الخاشعتين كأنّهما في محراب؟..

في هذه اللحظة فقط، وأرضي هنا التحام بين الموت والولادة.. يبن الصَّلْب والقيامة.. بين وجع الاحتراق وفرح الصلابة والتحدي..

في هذه اللحظة ذاتها فقط، أريد أن أسأل «شيخ الجيران»...

لكن. آه!.. أين هو!..

انقطع عن زيارتنا اليوم والسيد جـ. لا ينتظره هذه المرة!.

* * *

الأحد 19 ـ 3 ـ 1978:

الآن عرفت لماذا انقطع عن زيارتنا ذلك اليوم..

كان مشغولاً بتحريض الناس البسطاء في قريته أن يحملوا «المناديل البيضاء» استعداداً لتجفيف عرق الغزاة الزاحفين إلى قريته!.

المسافة بعيدة كانت ذلك اليوم... كانت بعيدة جداً بينه وبين أرضي الصغيرة الوديعة البسيطة... من القطب إلى القطب كانت المسافة..

أرضي.. كانت قطب التصدي البطولي الملحميّ لجيش الغزاة.. وكان هو قطب الانحدار المأسوي الخرافي إلى قرار الاستسلام!..

أرضي.. كانت ذلك اليوم تنفلت من حجمها «الميكروسكوبي» في خارطة الوطن الصغير، لتقترح على العالم حجمها «الفيتنامي» في خارطة الوطن الأكبر ـ الأرض..

و «شيخ الجيران».. كان ذلك اليوم يتلو، من جديد، على البسطاء في قريته، بنطقه الوقور وعينيه الخاشعتين كأنّهما في محراب:

«الأرض ـ كالناس ـ تشقى وتسعد!».

هذه المرة.. لا حاجة إلى السؤال: كيف تشقى الأرض، وكيف تسعد؟.. «شيخ الجيران» هو نفسه كشف «سرّ» المعادلة هذه المرة: على البسطاء الطيبين في قريته أن يمسحوا «بالمناديل البيض» عرق جباه الغزاة..

تلك هي «سعادة» الأرض وناس الأرض، كما يريدها «شيخ الجيران»!.. إنّها سعادته هو... وإنّما سعادته: أن يلعق عرق جباه الغزاة عن «المناديل البيض»!..

* * *

الثلاثاء 21 ـ 3 ـ 1978:

أرضي... تلد اليوم ربيعها..

هو أوّل ربيع تلده أرضي بلون فرح الانتصار يزهر في لون وجع الاحتراق..

حدّاثا العزيزة!

أحببتك بلدة طفولتي... أعود إليك اليوم لأحبّك نجمة في نجوم القطب الجديد لوطني..

*

في عرس جعفر!

ولم يكن مأتم جعفر عرساً؟

أليس هو الفتى الميمون الذي اشتهى لشبابه الريّان الماتع أن يُزفّ إلى عروس أحلامه العذراء، هذه العروس التي مرّ بها جيل كامل من الشباب في هذا الوادي وهي تهتف بفتاها المرجى بين مواكب الفتيان، فما تجد فيهم إلّا فتى يسرف بالدلال، ويمعن باللّي والمطال، أو فتى يحلم بالعروس ولكن بين أحضان الخصب والترف والنعيم، وفي ظلال الراحة والدعة والطمأنينة،

أو فتى يرتجيها عروساً تأتيه على عجل وفي إحدى يديها المنصب والكرسي، وفي الأخرى المجد والنعمة والجاه، وعلى شفتيها ألف نداء ونداء، وكل نداءٍ دعوة إلى وليمة طيّبة من ولائم هذه الخزنة العامرة: خزانة الدولة التي اجتمعت أطايبها ونفائسها من عرق كل جبينٍ في الحقل، وعصب كل ساعدٍ في المصنع، ودم كل قلب

في الكوخ، وجهد كل فكر في الزوايا المقرورة، المغمورة، المحقورة..

لم لا يكون مأتم جعفر عرساً؟

أليس هو الفتى الميمون الذي اشتهى لشبابه الماتع الريّان أن يزفّ إلى هذه العروس العذراء التي طال بها الزمن وهي تنتظر فتاها المرجى في مواكب الفتيان منذ خمسة وعشرين عاماً مرت على هذا الوادي، فما يستجيب لها واحد فيهم، ولا يلتفت إليها أحد التفاتة ترى فيها مخايل فتاها الموعود، أو تلمح وجهه ولو من بعيد، بعيد.. حتى مرَّ بها الموكب الأخير من فتيان الوادي، وإذا بالموكب كلّه يهتف بالعروس وهي على لهب الشوق، وحسك الانتظار، وإذا كل فتى منهم يهوي بروحه ودمه وحياته في مهرجان الموت ليعانق العروس في جلوتها الرائعة على نغم الرصاص، وعطور البارود، وهتاف العذارى من بنات الوادي، مشرق الوجه على آفاق دمشق والغوطتين، ثم يشير بيديه من وراء الأبعاد والمسافات يهتف بالعروس العذراء وهي في جلوة المهرجان، والفتيان بين يديها يتهيّأون فتباركهم وتمسح على رؤوسهم بالرضا،

والغبطة، والفرح، ثمّ تلتفت إلى الفتى الطالع عليها من وراء الصحراء، فإذا هو جعفر فاتحاً ذراعيه وسع الفضاء، ناشراً جناحيه ملء الوجود، باعثاً حنجرته ملء سمع الزمن، صارخاً في مهرجان الموت الرائع أنّ هذه عروس أحلامي العذراء، قد قذفت بجناحي في الفضاء العريض من دمشق إلى بغداد، من مقاعد الجامعة إلى ساحة الجهاد، من أحضان الظلال الوارفة الحنون إلى أحضان اللهب الغاضب المستعر، لكي أضفر على رأسها بيدي إكليل العرس في ساحة المهرجان العظيم على نغم الرصاص، وعطور البارود، وهتاف العذارى من بنات وطني النواعم الباسلات، وحملت شبابي الماتع الريّان على راحتي كلتيهما من وراء الصحراء البعيدة إلى الضفاف الحمر على دجلة المحموم، لكي أضع كلّ أحلام شبابي هذا بين يدي عروسي المنشودة دماً مسفوحاً يضمّخ أنفاسها بالعبير الخالد، ويسكب في قلبها الظامىء خمرة الفداء المقدسة، ويطبع على جبينها الشامخ قبلة مطهّرة يذهب بها دنس الأيام كلّه، ثمّ يكون هذا الدم المسفوح رمزاً يصرخ أبداً في هذا الوادي الحبيب أنّ الحرية لا تكون بغير الفداء والتضحية، وإن الفداء والتضحية لن

يكونا سبيل الحرية إلّا إذا كان شباب الوادي يهتف بعروس أحلامه في مهرجان الموت على نغم الرصاص، وعطور البارود، وهتافات العذارى من بنات الوطن الباسلات، وها أنذا أهتف بعروس أحلامي العذراء وتهتف بي، ثم نلتقي بعد انتظار طويل، وها أنذا أزفُّ إليها شبابي الماتع الريّان قرباناً لحريّة الوادي الحبيب، ثمّ ها أنذا في مهرجان العرس فخوراً بالنصر والظفر، وسأذهب عن الوادي مع رفاق الشهادة والفداء راضياً مطمئناً ليكون الوادي الحبيب ـ بعدنا ـ حرّاً كريماً، كامل السيادة والعزّة والمِنْعة.

*

ترابك الجنوبيّ يا وطني

كان في ما كان من ذاكرة لك قبل الحرب يا لبنان... كان هناك قول شاعري مقلوع من صخر الجنوب، يقول:

«إرفع أيّ حجر عن أي حفنة تراب جنوبية، تجد شاعراً..»

أما الآن، وهذا زمن الاحتلال الإسرائيلي، أي زمن الحفر العميق في تراب الجنوب، فقد خرج من هذا التراب شكل آخر للقول:

«إرفع أيّ حجر عن أية حفنة تراب جنوبية، يطلع أمامك مارد متأهّب للقتال، لقتال الاحتلال...».

لكن، هل هذا الشكل الآخر ينسخ الأول، أو يلغيه، أو يناقضه، أو يعارضه؟.. أي هل يقطع ما بين الذاكرة والذاكرة؟.. أي هل المارد يلغي الشاعر؟ أو هل الشاعر الذي كان تحت كل حجر جنوبي، قد انتهى ليبدأ المارد الذي صار هو الحجر والتراب والجنوب؟

تلك مسألة فيها نظر.. لكنّ النظر هنا في المسألة، مهما اختلفت الزوايا التي ينطلق منها، ليس مؤهلاً أن يتحول عن النقطة ـ المركز.. أي عن القضية التي خلقت الشاعر تحت كل حجر في الجنوب، ثم خلقت المارد متكوّناً من الحجر والتراب، ومن كل الجنوب.. أعني القضية التي تجمع تفاصيل معناها في بؤرة مكثفة تشعّ بهذه الحقيقة:

«تراب الوطن له قداسة الشرف والكرامة والحرية..».

إنّها الحقيقة التي تؤسس الشكل والمضمون للثقافة الأولية في وعي أهل الجنوب.

هذه هي القضيةُ... والقضية هذه لها تاريخ، والتاريخ هذا له جذور، والجذور هذه تكمن في العمق العميق من تراب الجنوب... القضية بتاريخها وجذورها وبالتراب الذي يحتضن الجذور، ترجع إلى أصل راسخ، هو الاحساس الصارم بمعنى الانتساب إلى أرض بعينها، إلى أرض الوطن.. هذا الانتساب ينحفر معناه عميقاً عميقاً في تضاريس الزمن، وينغرس بعيداً بعيداً في مسارب التاريخ، ويتسلّق عالياً عالياً كل طموحات الوطن.. إنّه الانتساب الذي يشدّه عمق الأرض ذاتها إلى كلّ حالات

الأرض: حالات خصبها وجدبها، شحّها، قسوتها وحنانها... حتى الحرمان في هذه الأرض، حتى أوجع الحرمان، له سطوة العشق في وجدان أهل الجنوب..

هذا الانتساب، بنوعيّته الصارمة وبكينونته الحارة، كان يجد دائماً ثقافته المتميّزة، أو كان دائماً يوجِد هو ثقافته المتميّزة... وهي ثقافة تتميّز بمعنى من السيولة المتحررة من الانغلاق والنخبويّة والفئويّة.. ذلك لأنّها ثقافة القضيّة/ الكلّ، أي ثقافة كل أهل القضية، أي كل الذين في وجدانهم سطوة هذا العشق المسيطر.. ولأنّها ـ كذلك ـ ثقافة هذا الوجود التاريخي غير القابل للتجزّؤ، ولا للتميز ولا للاستئثار...

ثقافة أهل الجنوب، ارتبطت بكونهم ناساً لهم قضية دائماً، وكون قضيتهم دائماً ترجع إلى تلك الحساسية المرهفة جدّاً، المشبعة جدّاً بعشق تراب الوطن، المنجبلة جدّاً بالحرص على أن يبقى تراب الوطن نقيّاً لا يلوّثه غبار أقدام الغزاة... الشاعر الذي كان دائماً تحت كلّ حجر في أرض الجنوب، هو نفسه المارد الذي صار الحجر والتراب وكل أرض الجنوب، مذ سرى وجع

الاحتلال في شرايين هذه الأرض.. الشاعر لم يغِب عن مكانه تحت حجرٍ في أرض الجنوب..

والمارد لم يبدأ من حيث انتهى الشاعر.. فإنّ الشاعر ما انتهى، بل تحوّل... لقد تحوّل مقاتلاً، والمقاتل تحوّل مارداً هائلاً.. الشاعر والمارد: نباتٌ واحدٌ، خرج من جذر واحد يمتدّ تحت كلّ حجر في أرض الجنوب. هناك في أرض الجنوب قضيّة... والقضية هناك اختار لها التاريخ شكلها الثقافي، فكان الشاعر.. ثم صار الشاعر يتحوّل مقاتلاً مارداً كلّما رجفت أرض الجنوب غضباً من ظلم ظالم وطغيان طاغية.. أو كلّما ارتعشت غيظاً من غبار احتلال أو غزو يدنّس تراب الوطن..

ترابك الجنوبي، يا وطني..

ترابك الجنوبي، يا لبنان،

هو الآن في أبهى تحولاته...

هو الآن بركان غضب وغيظ معاً..

هو الآن الشكل الأعلى «للرفض» التاريخي يتفجر حرباً وطنية على الغزاة والمحتلين والصهاينة،

يحطّم صلف عنجهيّتهم الهمجيّة،

يهدم كبرياء أجهزتهم العسكريّة،

يستطيل ويستعلي حائطاً جبّاراً دون أهدافهم التوسعيّة العدوانية..

ترابك الجنوبي، يا وطني،

يتجسّد الآن كلمة واحدة، تقول: لا... تقولها صارمة، جازمة، حاسمة... تقولها وتعني: لا احتلال ولا اتفاق مع الإحتلال، ولا قرار في أرض الوطن ولا استقرار للاحتلال. وكلمة «لا» تسافر ـ توّاً ـ من الوطن طوّافة في أرجاء المجتمع الدولي والعالمي، حاملة إرادة شعبنا المقاتل بأن: لا بديل مطلقاً عن تحرير كل شبر في أرض الوطن من كل أشكال الاحتلال الصهيوني، ومن كل آثاره، ومن كل عملائه..

ترابك الجنوبيّ، يا وطني،

حفنة ملتهبة من ترابك الكل لن تنطفىء شعلتها حتّى يتحرّر كل ترابك ويتطهّر، فتتحول الشعلة ـ حينذاك ـ حزمة ضياء في طريق البناء، ويعود المارد الجنوبي شاعراً يتوهّج تحت كل حجر في أرض الجنوب.

1983 /11 /6

من السبعين إلى
. . . ما بعد السبعين

. . . والآن،
وقد هدأت ضجّة السبعين، يا حبيبتي،
وقطعنا الرحلة الاحتفاليّة المتلألئة، الساطعة،
وعدنا . . .
الآن،
وقد خرجنا من دوار الإيقاع الاحتفالي دون جراح،
وعدنا إلى ممارسة الزمن العادي دون طقوس. .
الآن يا حبيبتي،
كيف ندخل في حجمنا من جديد؟

* * *

لماذا ترتعشين؟

هذا حجمنا الوادع الدافىء، كما كان قبل ضجة السبعين،

يا حبيبتي... أدخلي!.

لماذا ترتعشين؟

هنا خفوت الصوت والضوء ونبض الأشياء،

وهنا الكلمات، وحروف الكلمات، ونقاط حروف الكلمات ـ كلّها بحجم البساطة الوادعة الدافئة التي تعشقين.... التي كنت تعشقين!..

هنا زمن الصمت الذي شربناه حتى الثمالة، حتى النشوة الكبرى، حتى الفرح المزهر...

هنا حجمنا الذي تدثّرناه... وتحت دثاره كتبنا الحبّ، وزرعنا الياسمين، وذهبنا في عروق التاريخ وأتينا...

في حجمنا الوادع الدافىء، يا حبيبتي، ندخل الآن من جديد.

* * *

ندخل في الحجم ولا «نتحجّم».

ندخل... لكي نتفجّر من جديد.

تحت خفوت الصوت والضوء ونبض الأشياء نتفجّر...

في بساطة الكلمات وحروف الكلمات ونقاط حروف الكلمات، نتفجّر...

في خمرة الصمت، وفي سكرة الصمت، وفي فرح الصمت، نتفجّر...

* * *

تقولين: وماذا بعد السبعين؟.

آه، لو تذكرين يا حبيبتي!... آه، لو تعلمين!.

أنت تخافين انطفائي أمام الريح الاحتفاليّة الموسميّة...

أنت تخافين انتهائي...

لا تخافي، يا حبيبتي، ضجّة السبعين، وبهاء «اللوتس»...

لا تخافي روعة «الوسام» الآتي من شعاع «النجمة»

المتألّقة فوق جزيرة العرب من أقصى الجنوب... لا تخافي سطوع «التحيّة» الآتية من «الحزب» بكلّ وهج الحبّ الذي أعطانيه «الحزب» شرفاً هو أبهى الشرف...

لا تخافي انطفائي... لا تخافي انتهائي....

* * *

داخل حجمنا الوادع الدافىء الخافت، يا حبيبتي، نختبىء الآن من جديد... نقرأ هنا خطاب الريح الموسميّة السبعينيّة، لنتفجّر من جديد... لنتفجّر رسالةً تقول لسنوات العمر الآتية بعد السبعين:

لا تخافي انطفائي... لا تخافي انتهائي...

* * *

تقولين: «وماذا نعطي الذين أترعوا كؤوس السبعين ضوءاً وحبّاً، وأترعوا حياتنا كرامة ومسرّات، احتفاءً بعيدنا السبعين؟».

آه، يا حبيبتي!...

حزني هنا عميق، عميق... لإنّه الفرح الحقيقي،

ولأنّ الفرح الحقيقي يضعنا في دائرة المحال...

محال ـ يا حبيبتي ـ أن نعطي البديل لفرحنا الحقيقي الآتي من أنقى الينابيع... فلا عطاء بديل لذلك الفرح العظيم.

*

موت الشهيد الشيوعي..

خليل نعوس شهيداً شيوعياً مات،

وشهيداً شيوعياً مات سهيل الطويلة،

موت الشهيد الشيوعي موت آخر... إنّه ليس موتاً.. إنّه موت الموت.

موت الشهيد الشيوعي هو التقمّص من نوع آخر.. إنه يتقمّص الحياة توّاً... لكنها الحياة الأوسع والأعمق.. حياة كلّ الناس الطيبين في كل شعوب العالم.. حياة كل الذين يحلمون بسعادة الإنسان الكائن على سطح هذا الكوكب/ الأرض.

يموت الشهيد الشيوعي فينتشر مناراً في عيون كل الكادحين وأحلامهم.

كلّ قطرة من دم الشهيد الشيوعي تنقلب نهراً هادراً في أعماق صانعي المستقبل السعيد لشعبنا... ولا بدّ أن ينقلب النهر الهادر ـ بعد ـ نهراً جارفاً يطهّر أرضنا العربية

من كل صانعي الظلم والظلام، وكل صانعي البغي والعدوان.

كل شهيد شيوعي يتحول ـ لا محالة ـ ناراً وسعيراً يزداد بهما ضرام النار المتأجّجة في عمق الأعماق من ذاتنا العربية، حقداً ثوريّاً على كل الظالمين والفاشيين، وكل المنحرفين والمتخاذلين..

* * *

رفيقنا الشهيدين العزيزين
رفيقنا القائدين الشيوعيين الكبيرين
خليل نعوس
وسهيل طويلة،
يا كلّ شهدائنا الأبطال،

جراحنا عميقة، عميقة.. وحزننا كبير، كبير..

لكنّ الأعمق والأكبر من كل الجراح وكل الحزن هو القضية: قضية حزبنا، أي قضيّة شعبنا، أي قضية أمّتنا العربية، أي قضيتنا الطبقيّة التي تحكم وطنيتنا، وقوميتنا وأمميتنا معاً.

إنّها القضية الأعمق والأبر، وأنتم شهداؤها، وأنتم

طليعة الأبطال المناضلين لصيرورتها، وأنتم قافلة الفداء التي تتقدّم مسيرتنا إلى يومها السعيد، يوم النصر الحاسم.

* * *

يا رفيقينا العِزيزين..

يا كل الرفاق الشهداء:

جراحنا عميقة، عميقة.. وحزننا كبير، كبير..

لكنّ الاعتزاز بحزبنا أعمق وأكبر... إنّه الاعتزاز بنهجه السياسي الصائب، وبفكره الثوري الطليعي، وبنضاله المبدئي البطولي.. إنّه الاعتزاز بوجهه الصريح، الناصح، الساطع: وجهه الوطني، القومي، الطبقي، الأممي.

من نبعة واحدة، من جذر واحد، من مرجع واحد، تنبع ملامح هذا الوجه الصريح الناصع الساطع لحزبنا الشيوعي اللبناني.. كل ملامحه هذه تتكامل وتتناغم وتتناسق بفضل الفكر الثوري الطليعي، وبفضل العلم الماركسي ـ اللينيني، وبفضل التطبيق الخلّاق لهذا الفكر وهذا العلم.

* * *

يا رفيقينا القائدين الشهيدين.

يا كلّ رفاقنا الشهداء..

جراحنا عميقة، عميقة..

وحزننا كبير، كبير..

لكنّ النهج السياسي ـ الفكري ـ الأيديولوجي الذي اخترناه اختياراً طوعيّاً، هو أعمق من الجراح وأكبر من الحزن... وأنتم أدرى أنّ القابض على هذا النهج في عصر الحالة الإسرائيليّة ـ الفاشيّة ـ الظلاميّة، كالقابض على الجمر.. وأنتم أدرى أنّنا ارتضينا القبض على هذا الجمر حتى يموت الجمر وتحيا القضيّة وإن احترقت أيدينا.. ذلك شرفنا وأنتم العنوان الوهّاج لهذا الشرف..

*

يا بيروت.. شكراً!

في عام 1984 استحدث المؤتمر العام السابع عشر للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب جائزة بيروت، تكريماً لصمود بيروت وصمود كتابها في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان صيف عام 1982. وبناء على ترشيح اتّحاد الكتّاب اللبنانيّين مُنحت جائزة بيروت للشهيد حسين مروّة، وتمّ الاتفاق على أن يتسلّم الجائزة في مؤتمر الاتحاد العامّ الثامن عشر المنعقد في بغداد عام 1985، وكتب حسين مروّة كلمة ليلقيها في لقاء بغداد ذاك. لكنّ ظروفاً طارئة حالت دون سفره، وبقيت كلمته التي أعدّها لمناسبة تسلّم الجائزة مطويّة. «الطريق» نشرت هذه الكلمة في إشارة إلى أهمّيتها وتميّز موقفها. إذ يندر أن يقبل شخص جائزة وهو يضع في حيثيات قبوله مقاييس منحها، ويحدّد معناها، فلا يكتفي بالشكر، كما جرى في هذه الحالة. كأنّ حسين مروّة قال للمؤتمر العام للاتحاد

العامّ للأدباء، والكتّاب العرب: «على هذه الحيثيات أقبل الجائزة، وإلّا فامنحوها لغيري!». أمّا حيثيّات حسين مروّة فهي كما يلي:

لبيروت النحية، **أولاً**.. بيروت القابضة الآن، بإصرار، على الفلذات البهيَّة من تاريخها، كما القابض على الجمر في زمن الجمر والقهر، زمن العدوان الإسرائيليّ والتسلّط الفاشيّ الكتائبي.

بيروت التي نسيت كيف يكون الحزن حزناً صرفاً وكيف يكون الفرح فرحاً صرفاً، وابتكرت لنفسها ذاكرةً جديدةً فيها يتخضّب الفرح بالحزن، وفيها يتلوَّن الحزن بالفرح.

بيروت التي ابتكرت حزنها الخاصّ، وفرحها الخاصّ كما ابتكرت حربها الخاصّة في مقاومة العدوان والتسلّط.

بيروت التي رفضت موتها استسلاماً لحالة الاجتياح الهمجيّة، كما رفضت حياتها تعايشاً مع الخيانة الوطنيّة.

بيروت التي كسرت علاقة التعامل مع الموت والحياة من منطلق الجبانة أو الانهزاميّة أو العدمية، لتؤسّس العلاقة معهما، على عشق الموت استشهاداً وعشق الحياة

قتالاً: استشهاداً وقتالاً في معركة الوطن، معركة تحريره ووحدته وعروبته وديموقراطيته المتطوّرة، ومعركة التقدّم الشامل.

على هذا التأسيس العظيم كانت بيروت بخصوصها منطلق جبهة المقاومة الوطنيّة اللبنانيّة، جبهة العشق العظيم للموت والحياة معاً.

لبيروت هذه التحية أولاً.

* * *

والتحيّة الثانية للمؤتمر السابع عشر لاتّحاد الأدباء والكتّاب العرب. التحيّة له بما فكّر وقدّر وقرّر حين وضع باسم بيروت هذه نفسها جائزة سنويّة هي كبيرة بقيمتها المعنوية قبل كونها كبيرة بقيمتها المادية.

التحيّة له بأنه غرس في تربة الفكر العربي والأدب العربي علاقةً من نوعٍ جديدٍ بين فنّ الأدب والفكر وفنّ الحياة، أو بين واقع الأدب والفكر وواقع الحياة.

أن تُرْسم جائزة أدبية ـ فكرية باسم بيروت عاشقة الموت والحياة، ذلك بذاته يشكّل ارتفاعاً بمستوى العلاقة هذه إلى مناخات الرؤية الفنية ـ الفكرية بمداها الأوسع

والأضواء، أي الرؤية البصيرة النافذة إلى جوهر الارتباط، موضوعياً، بين مختلف القيم المثلى، سواءٌ أكانت قيماً للفنّ المستقلّ، أم للفكر المستقل، أم للحياة باستقلالها النسبي عن الفنّ والفكر، أي إنّه الارتباط الذي لا يلغي استقلالية كلّ من هذه القيم عن الأخرى، لأنّ الاستقلالية النسبية، ولأن الارتباط ذاك، ارتباط في العمق ينتسب إلى الأساس في حقيقة القيم المُثلى ذاتها، وهو الأساس الذي يعني أنّ كلّ قيمة نبيلة إنما تنطلق من قيمة الإنسان نفسه.

حاصل المسألة هنا إذن هو أن المعنى القيمي الحقّ لالتزام الاتّحاد العام منح جائزة بيروت السنويّة لأدباء ومفكّرين عرب معيّنين، إنّما يقوم على جذرين إثنين: أوّلهما، يتّصل بمرجع استحقاق مستحقّي الجائزة.

ثانيهما، يتّصل بمرجع انتساب الجائزة لاسم بيروت،

أقصد بالجذر الأول أنّه يقتضي توقّف استحقاق الجائزة على مدى ما هو معروف عن كلّ مرشح لها من عمق الالتزام بإحدى القيم المثلى كأساس لأعماله الأدبية والفكرية، وكمنطلق لتوجّهه الأدبي والفكري.

وأقصد بالجذر الثاني، أنه ما دام اتحاد الأدباء والكتّاب العرب عاملاً بنظام جائزة بيروت، يقتضي

الحفاظ على كلّ ما يعنيه اسم بيروت من قيم في مصداقية الجائزة، أي الحفاظ على المعنى الحقيقي لهذا الاسم العزيز، كما قصد إليه مشترع الجائزة (المؤتمر العامّ لاتحاد الأدباء والكتّاب العرب) أعني به معنى بيروت عاشقة الموت والحياة، أي بيروت المقاتلة في المعركة الوطنية والقومية، معركة التحرير والوحدة والتقدّم، أي بيروت ذات الوجه الوطني الديموقراطي العربّي الصريح، أي بيروت التاريخ والحضارة، أي بيروت النقيّة البالغة النقاء.

ذلك كلّه ينفي علاقة هذه الجائزة ببيروت الطائفية أو المذهبية أو الفئوية ، أو بيروت الجاهلية الظلامية، أو بيروت الكوسموبوليتية أو الشوفينية.

وذلك كلّه يعني أيضاً أن بيروت الحقيقية تلك بريئة من بيروت الكسيح هذه.

على هذين الجذرين كليهما بَنَى المشترع جائزة بيروت.

التحية الثانية له، للمؤتمر السابع عشر لاتّحاد الأدباء والكتّاب العرب.

* * *

أمّا التحية ثالثاً، فلهذا المؤتمر الثّامن عشر.

التحيّة لكم، أيّها الأدباء والكتّاب العرب في مؤتمركم هذا.

للمؤتمر السابق فضل اشتراع الجائزة، ولمؤتمركم فضل افتتاح مصداقيّتها.

لكم التحيّة بأنكم تشاركون في تكريم بيروت العظيمة.

لكم التحيّة بأنكم تضيئون الشمعة الأولى في عمر العلاقة الجديدة بين فنّ الأدب والفكر وفنّ بيروت: فنّ عشق الموت والحياة معاً في معركة الوطن المقاوم.

* * *

وباستحياءٍ بالغ أقول هنا إنّه قد يكون لي حقّ الاعتزاز بأنّني الآن في موقع الشرف من مؤتمركم في حفل تكريم بيروت.

شكراً للمؤتمر مشترع الجائزة،

شكراً، لمؤتمركم الذي أكرم أول الداخلين في مصداقية الجائزة،

شكراً للجنة التحكيم التي شرّفت اسمي بالانتساب إلى اسم بيروت ملهمة الجائزة.

ويا بيروت لك الشكر أوّلاً وآخراً ولك التحية أوّلاً وآخراً.

*

جئتكم بدمي الذي تسكنه فلسطين

هذه الكلمة لحسين مروّة لم يُتح لها أن تُلقى في حينها: كان اتّحاد الكتّاب والصحافيين الفلسطينيّين قد اعتزم إقامة حفل تكريم لحسين مروّة لمناسبة نيله جائزة بيروت التي يمنحها الاتّحاد العامّ للكتّاب والأدباء العرب. وكان قد تقرّر أن يكون مقر اتّحاد الكتّاب الفلسطينّيين في دمشق مكاناً لهذا الاحتفال التكريمي. ولكن أحداثاً طرأت على الاتحاد، فلم ينعقد الحفل. وبقيت الكلمة التي كان حسين مروّة سيلقيها في هذا الحفل. لهذا هي لم تُلقَ ولم تُنشر في حينه. وهذه الكلمة ننشرها هنا، وكأنّها كُتِبت لتُهدى إلى ثورة فلسطين في الداخل، وإلى مجابهي النازيّة الجديدة: الصهيونية، إلى فتيان فلسطين قاذفي الحجارة المضيئة.

جئتكم إلى هذا اللقاء العزيز بدمي الذي تسكنه فلسطين.

جئتكم بفلسطين التي تسكن دمي.

جئتكم بفلسطين ودمي اللّذين أشعلا معاً فرح طفولتي وشبابي، وأوقدا معاً نار طموحي وكفاحي، وصاغا معاً صورة حُلمي وقضيّتي، أعني حُلم شعبي وقضيّة وطني.

جئتكم ببيروت التي فلسطين أعمق معناها وأجمل معناها أبداً.

جئتكم بفلسطين التي بيروت خيمتها ونجمتها أبداً.

جئتكم ببيروت وفلسطين اللّتين دمشق قلبهما، ودمشق سيفهما، ودمشق خطّ النار الأول لمعركتهما التي لن تنطفىء حتّى النصر الأعظم.

* * *

أيّها الكتّاب الحاملون اسم فلسطين..

أنا أيضاً أحمل إسمها الأجمل: فلسطين الأرض، الوطن، الذاكرة، الناس، الحياة، الثقافة، والتراب الطّهور الذي لا بدَّ أن نغسله من كلّ دنسٍ تَلَوَّث به: أكان الدَّنس احتلالاً واغتصاباً واستلاباً واستيطاناً من شراذم العنصريّين والنازيّين الجدد: الصهاينة، أم كان الدَّنس عقوقاً وخيانة

من شراذم العرب الانتهازيين والرجعيين والانحرافيين والاستسلاميين. .

أنا أيضاً أحمل اسمها الأقدس: فلسطين الثورة، القضية، الحُلم، وفلسطين الشهداء. .

أحمل جُلّ أسمائها الحسنى.

أحمل تفاصيل أسمائها الأليفة: أحملها بدَمي عَيْشاً يومياً وعلاقات حميمة، في الطفولة، مع أشياء حيفا وعكّا ويافا وأشياء الزيب والبصّة والفولة والعفّولة وأشياء صفد وطبريّا. وأحملها بدمي، في شباب العمر وشيخوخته، حُبّاً وكفاحاً وانتماءً وطنياً وقومياً، وارتباطاً بالأرض والتاريخ والقضيّة: قضيّة وطني وشعبي وأمتي، أيْ قضيّة الحقّ لشعبنا العربي الفلسطيني أن يكون له وطن وأن يكون وطنه فلسطين، وان تكون فلسطينهُ وطناً حرّاً مستقلّاً سيِّداً لأقداره ومصائره.

تلك هي قضيتنا معاً

تختلف الأسماء والعناوين، تختلف جغرافيا الأشياء وجغرافيا الأقطار وجغرافيا العواصم. . تختلف الكلمات وظلال الكلمات.

ولكنّ القضية تلك تبقى هي نفسها القضية. لا تقبل اختلافاً. لا تقبل قسمةً ولا تعدُّداً.

نقول قضية فلسطين ولا ضير أن يكون المعنى قضية لبنان وأيِّ قطر عربي آخر وبالعكس..

ونقول المقاومة الوطنية اللبنانية ولا ضير أن يكون المعنى هو المقاومة الوطنية الفلسطينية وبالعكس.

القضية هي القضية لأن معناها واحد.. ولأنّ مضمونها هنا هو مضمونها هناك..

لا يقولنّ أحد إننا نلغي الخصُوصيّات الوطنية، أو القُطرية، وإننا نقول بالتماثل..

لا.. الخصُوصيّات لا تُلْغَى بإرادة أحد، والتماثل مستحيل..

لكنّ قضية التحرُّر الوطني العربية هي قضية كلّ قطر عربي بالمطلق.

لكنّ قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي هي قضية كلّ جزءٍ في خارطة الأرض العربية بالمطلق.

لكنّ قضية تحرير فلسطين هي القضية الأساس لكفاح كل المناضلين العرب بالمطلق.

لكنّ التناقض بين مطامح القومية العربية التقدمية ككلّ

ومطامح الإمبريالية الأميركية وإسرائيل، هو قضية بذاتها تصنعها ظروف مرحلتنا التاريخية الحاضرة أمام الوعي العربي كقضية تتصدَّر بل تسبق كلّ قضايا التناقض الثانوية والتفصيلية في كلّ أقطار الوطن العربي، أيْ أنها قضيةٌ يجب أن يغرقَ في أعماقها كلٌّ تناقض عربي داخلي بالمطلق.

* * *

وحدةُ القضية القومية تعني ـ بالضرورة ـ وحدة الأهداف الوطنية والقومية.. تعني وحدة المطامح التحرّرية والديموقراطية والتقدّمية.

على أساسٍ من هاتين الوحدتين المتلازمتين، موضوعيّاً، تقوم نظرية الوحدة العربية الشاملة بمضمونها التحرّري الديموقراطي التقدمي، وعلى هذا الأساس نفسه نهضت، تاريخيّاً، أحلام الشعراء العرب وأفكار المفكرين العرب، طوال عصر مديد نسميّه عصر النهضة..

* * *

أيّها الأخوة الكتّاب والصحافيون الفلسطينيّون.

هذا اللقاء العزيز ماذا يعني بأعمق دلالاته وأبعاده؟

أتسمحون لي أن أرى إليه بعيداً عن معنى التكريم الفرديّ/ الشخصي؟

وإذا كان من التعسُّف إفراغه كليّاً من معنى التكريم الفردي/الشخصي فهل تسمحون لي أن أرى حتى هذا المعنى الخاص يرتدي علاقته الأكيدة بالمعنى العامّ، كعلاقة الغصن بالجذع/ الأم وبِنَسْغِها الدافق؟

ما كان لهذا اللقاء العزيز أن يكون على ما هو من حرارة حُبّ وصدق وعاطفة، لولا أن للفرد/الشخص الذي تكرّمون انتساباً ما إلى القضية الكبرى الواحدة والعظيمة.

حسبي شرفاً أن يكون لي هذا الانتساب، وأن يكون لقاؤنا العزيز إضاءة كريمة لهذا الانتساب.

شكراً لكم!!

*

حول

«النزعات المادية..»

حول «النزعات المادية. . .»

في هذه الصفحات نقدّم وثيقة فكرية سياسية من نوع جديد: مبادرة ريادية من حزب شيوعي، كان من نتائجها إنجاز ريادي لمفكر شيوعي.

الإنجاز هو كتاب حسين مروّة: **«النزعات المادية في الفلسفة العربية ـ الإسلامية»** الذي يقع في (1800) صفحة من القطع الكبير.

ولكن قبل الحديث عن المبادرة الريادية تلك، نحبّ أن نورد هنا وصفاً لإنجاز حسين مروّة هذا ورد في وثيقة حزبية أخرى هي رسالة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني إلى الرفيق حسين مروّة (بتاريخ 24 كانون الأول 1980) بمناسبة عيد ميلاده السبعين. ممّا ورد في هذه الرسالة الفقرة التالية:

«.. ويشكّل اليوم عملك الموسوعي حول الفلسفة العربية الإسلامية قمّة جهود نصف قرن من البحث الدائب والغوص في تاريخ الحضارة العربية، في ضوء المنهج

العلمي الذي طالما احتاجت إليه المكتبة العربية، في خضمّ الدراسات والأبحاث العربية والأجنبية حول التراث، التي لم تفِ هذا الموضوع الكبير حقّه، ولم تكشف بوضوح عن الجوانب التقدمية في ما قدّمته الفلسفة العربية الإسلامية من اسهام جليل في إغناء الحضارة الانسانية. إنّ عملك الموسوعيّ هذا هو بذاته حدث ثقافي وفكري كبير الأهمية على صعيد ثقافتنا العربية. وهو يلقى الاهتمام الذي يستحقّه، ويؤسّس لمدرسة جديدة في البحث والدراسة التراثيين في ضوء المنهج العلمي. وإنّنا على ثقة بأنّك ستتمكّن من إنجاز هذا العمل الكبير في الأعوام القادمة، وتقدّم بذلك إسهاماً لا يثمّن في إغناء التراث الثقافي العربي، والتراث الإنساني التقدمي».

هذا الإنجاز، الذي تقيّمه رسالة اللجنة المركزية، والذي حقّقه حسين مروّة، إنّما أتيح له أن يتحقّق بمبادرة من قيادات الحزب. والمبادرة هذه تدخل في إطار التغيير التجدّدي والانعطافي العامّ في سياسة الحزب الشيوعي وخطّه الفكري الذي كرّسه المؤتمر الثاني التاريخيّ للحزب عام 1968، والذي من ضمن مهمّاته «الارتباط الوثيق بقضايا شعبنا القومية والاقتصادية والاجتماعية». ففي العام

نفسه (1968) كلّف الحزب الرفيق حسين مروّة بمهمّة إنجاز كتاب في تراث الفلسفة العربية الإسلامية، وأتاح له إمكان التفرّغ الكامل لهذا العمل في موسكو ضمن أحد المعاهد العلمية الاستشراقية الكبرى. وانصرف حسين مروّة إلى إنجاز هذا العمل فترة عشر سنوات من الدراسة والبحث الدؤوب والمناقشات المستمرّة، ثم عاد إلى لبنان، حاملاً «تقريره/الإنجاز» في يمينه. وعندما انتهت طباعة الجزء الأوّل من الكتاب، كانت النسخة الأولى منه، بمثابة «تقرير أوّل» إلى المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني، أرفقها حسين مروّة برسالة، ننشرها في هذه الصفحات، فأجاب المكتب السياسي على «تقرير» مروّة برسالة، ننشرها هنا كذلك، بوصف هاتين الرسالتين تعبّران عن مرحلة جديدة في التوجه الفكري السياسي الثقافي في الحركة الشيوعية العربية، ومرحلة جديدة أيضاً في دراسة التراث الفكري العربي، بضوء الفكر العلمي ـ فهما، بهذه الصفة، تشكّلان فعلاً، وثيقة من نوع جديد.

محمد دكروب

نُفِّذَت المهمة..
وهذا «تقريري الأول».

الرفاق أعضاء المكتب السياسي

تحية رفاقية وبعد،

في مثل هذا اليوم، منذ عشر سنوات (21 آب/ أغسطس 1968)، بدأت الرحلة الرائدة، في عالم التراث الفكري العربي ـ الاسلامي، التي شرّفني الحزب أن أكون أوّل مغامر يُدخل ـ نوراً ـ في مجاهلها، خارقاً أكثر من سور فكري وأيديولوجي مضروب حول هذا العالم التراثي منذ أقاصي العصر الوسيط حتى الثلث الأخير من القرن العشرين.

وفي هذا اليوم ذاته، بعد العشر سنوات (21 آب/ أغسطس 1978)، ترفعني إليكم، أيّها الرفاق، موجة فرح

واعتزاز لأتقدّم بأوّل «تقرير» عن الرحلة.. أقول أوّل «تقرير»، ولا أقول «التقرير» الكامل، لأنّ الرحلة لم تنتهِ بعد، وليس من شأنها أن تنتهي الآن...

الرحلة بدأت ليس أكثر... وهذا «التقرير» الأوّل عن الرحلة هو محصّل البداية ليس أكثر.. لقد بدأها الحزب رائداً، وسيواصلها رائداً، عبر قوافل مجيدة من الرفاق يجهّزون للغد قوافل مديدة من الأجيال.

«تقريري» الأوّل عن الرحلة ـ البداية، هو هذه القارورة الأولى من عرق المغامرة الأولى في افتراع المجاهل والمتاهات... هذا هو الكتاب الأوّل الذي يحمل إليكم، أيها الرفاق، أوّل القطاف.

الحزب هو الذي غرس، وهو الذي تعهّد الغرس ورعاه لحظة...

والتربة... هذه التربة الفكرية، التي حملت الغرس بأمانة، حتّى أزهر وأثمر، هي أيضاً أعدّها الحزب، ونقّاها، وأمدّها بأشواق الخصب...

حزبي العزيز،

منك الهِبات كلّها: التربة، والغرس، والرعاية...
فهل إلّا إليك، إذن، أوّل القطاف؟
شرفي الأبهى، وفرحي الأعمق، أن تقبله.

حسين مروّة
بيروت في 21/ 9/ 1978

تلقّينا تقريرك
بفرح واهتمامٍ واعتزاز

الحزب الشيوعي اللبناني

في 23/ 9/ 1978

الرفيق العزيز أبو نزار،

تلقّينا بفرح واهتمام رسالتك التي تقدّم فيها للمكتب السياسي أوّل «تقرير» عن المهمة الفكرية الشاقة التي أوكلها إليك الحزب منذ عشر سنوات بالغوص في عالم التراث الفكري العربي الإسلامي، مخترقاً مجاهله متحدياً صعوبات الطريق، مهتدياً في اكتشاف مسالكها، بما تقدّمه النظرية الثورية للاشتراكية ـ الماركسية اللينينية، من منهج علمي ومن أدوات.

وقد ترافق تكليف الحزب لك بهذه المهمّة مع المهمّة

الكبرى التي رسمها لنفسه آنذاك في مؤتمره التاريخيّ الثاني، مهمّة الارتباط الطبقيّ الأوثق بقضايا شعبنا القومية والاقتصادية والاجتماعية. إنّ هذا الارتباط يبقى ناقصاً وسطحيّاً إن لم يرتبط كذلك بوثوقٍ وعمقٍ بتراثنا الفكري، الفلسفي والأدبي والفنّي والثقافي الآخر. وما محاولتك الجريئة إلّا دفع لجذور الحزب نحو هذا التراث بشكل أعمق.

إنّ المجاهل التي اقتحمتها، أيّها الرفيق العزيز، قد أقيمت عبر القرون أسوار هائلة بينها وبين اكتشاف الحقيقة حولها. وإنّه لشرف عظيم لحزبنا أن يخترق الأسوار من أجل الإسهام في اكتشاف هذه المجاهل وإزالة الغبار عن الحقائق في تاريخ حضارتنا العربية، وإعادة الاعتبار إليها، رائدٌ من حزبنا، مفكّر طليعي من مفكّريه، عضو لجنته المركزية.

إنّنا، أيّها الرفيق العزيز، لنشعر بالاعتزاز للعمل الكبير الذي أنجزته تحقيقاً للمهمّة التي كلّفك بها الحزب. وإذا كنت قد استطعت أن تحقّق هذا الإنجاز لوحدك، وهو عمل لا تقوم به سوى المؤسسات، فلأنّك أردت أن تعطي، بعملك الفذّ هذا، نموذجاً للشيوعي، بالمطلق،

الذي تهون أمام إرادته الصعوبات مهما عظُم شأنها، وللمفكر الشيوعي، بالخصوص، الذي يعرف كيف يستخدم في أقسى ظروف العمل وأشدّها تعقيداً سلاح النظرية منهجاً في البحث ومرشداً، ويستند إلى عمق الرؤية وصحّتها، من أجل الوصول إلى استكمال المهمة الفكرية السياسية الموكلة إليه والمكلّف بإنجازها.

وإذا كانت هذه التجربة في اختراق المجاهل قد اقترنت بنواقص وثغرات ما، فالعذر هنا أنّ الذي يقوم بالتجربة فرد لا مؤسسة، فضلاً عن أنّها تكاد تكون تجربة فريدة من نوعها.

إنّ المعركة التي يخوضها حزبنا، مع سائر القوى الوطنية والتقدّمية في بلادنا ضدّ قوى الظلام والرجعية، التي تريد تمزيق بلادنا وإخضاعها للقهر العنصري القاسي وللسيطرة الإمبريالية، يرى في كل إنجاز يحقّقه الشيوعيون اللبنانيّون في ميدان البحث الفكري بكافة فروع المعرفة وفي مجالات الإبداع الأدبي والفنّي وفي الصراع الأيديولوجي المحتدم، إسهاماً في هذه المعركة يحتلّ موقعاً خاصاً ويمارس دوراً وتأثيراً كبيرين. ويقدّر حزبنا تقديراً عالياً كلّ إسهام قدّمه ويقدّمه رفاقنا المثقّفون، في

كل هذه المجالات. وسيولي كلّ الاهتمام من أجل تشجيع البحث في كافّة مجالاته والإبداع الأدبي والفني في كافّة فروعه، بكلّ ما يتوفّر لديه من إمكانيات.

مرحى لك أيها الرفيق العزيز، لأنّك قبلت المهمّة التي كلفّك بها الحزب، بشرف الشيوعي، ولأنك جازفت بكلّ ما لديك من جهد عبر عقدٍ كامل من الزمن لتحقيقها، ولأنك تأتي اليوم إلى حزبك تقدم له المهمّة منجزة، يجسّدها هذا الكتاب الذي يملأ مكتبة الحزب والمكتبة العربية بأثر فكري فريد من نوعه. وإليك يا رفيقنا حسين مروّة، يا أبا نزار، أحرّ تحياتنا وأعمق شكرنا، وأصدق تمنّياتنا لك بالصحة والعافية والعمر المديد، من أجل مزيد من العطاء والإنجاز في خدمة حزبنا والقضية التي من أجلها يناضل.

جورج حاوي
عن المكتب السياسي
للجنة المركزية للحزب الشيوعي
اللبناني
الأمين العام المساعد
في 23/ 9/ 1978

قيل فيه

قالوا في الجريمة

في السابع عشر من شباط 1987 الساعة الرابعة بعد الظهر، باتت بيروت بدون حسين مروّة. دخل القاتل المحترِف غرفة نوم الشيخ واغتاله بمسدس كاتم للصوت على مرأى من رفيقة عمره. هكذا بدأ فصل جديد من فصول شهداء الفكر في بيروت، وهكذا ازداد أعداء بيروت عدواً آخر هو الظلامية، وهكذا أُضيف إلى صحافة لبنان والعالم باب ثابت آخر: شهيد الفكر والديموقراطية حسين مروّة. وقد شاءت «الطريق» أن تُلقي نظرة على ملفّ حسين مروّة وما قيل فيه بعد استشهاده، لعلّها تجمع باقة تحيّةٍ له، فهالها ما حواه الملف الضخم، إذ أنّ مجرّد الاطلاع عليه لا بدّ أن يستغرق أياماً، فضلاً عن القراءة والتجميع من أجل أن تتوضّح صورة ما حدث وغاياته، واستحالة الاختيار من بين ألوف الفقرات والمقالات والبرقيات. لقد كان الأمر واضحاً للجميع وضوح الشمس: من هو حسين مروّة وماذا يمثّل؟ وما هي غايات

اغتياله؟ الجميع أجابوا عن الأسئلة التي طُرِحت، باستشهاده، بالقدر نفسه من الشجاعة ومن دون تحفّظ. وكان خلف كل مقالةٍ وكلمة وبرقية وتوقيعٍ نبرة الغضب والتنديد والإدانة عينُها. وأشار كلٌّ اسم في اتّجاه القَتَلةِ والمخطّطين بالبلاغة ذاتها اللائقة بالجريمة المخزية. لكن، في يقيننا أنَّ أيَّ صورة مختصرة لملفّ حسين مروّة بعد استشهاده ولما قيل فيه هي صورة ناقصة وإن تقديمها كما سترون، هو التعسّف بعينه!

بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني 18/ 2/ 1987 عن اغتيال المفكر الشيوعي حسين مروّة

قتل الظلاميّون، قتل المذهبيون الطائفيون العابثون بأمن الشعب ومصير الوطن، العاملون تدميراً وتهديماً لكلّ ما له علاقة بالحرية وبكرامة الإنسان، لكلّ ما له علاقة بالثقافة والديموقراطية، لكلّ ما له علاقة بالمعرفة، هؤلاء القتلة المجرمون السفّاحون الآثمون الجبناء، قتلوا شيخ الثقافة والفكر، الأديب اللبناني العربي العالمي الكبير، أديب الشعب والحرية، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني، حسين مروّة.

(. . .) المُثُل التي أمضى حسين مروّة زهاء ثمانين عاماً من عمره في إغنائها وإثرائها وتعميمها، هذا العمر الحافل الغني بالعطاء في كلّ مجالات الإبداع والكفاح من

أجل انتصار قضية شعبه وأمته، ومن أجل تقدّم الحضارة والإنسانية فكان هو نفسه بهذا الكثير العظيم الذي أعطاه منارةً قائمة بذاتها.

سيبقى فكر حسين مروّة، وستبقى كل كتاباته سيفاً مشرعاً على الدوام في وجه هؤلاء القتلة المجرمين، وستظلّ بيروت التي عاش حصارها الطويل في موقف كفاحي نموذجي عظيم تحفظ اسم حسين مروّة من بين الكثير من رموز الصمود والثقافة الذين عرفهم شعبنا وعرفتهم الأمّة التقدّمية.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني
1987/2/18

مات أبي الثاني شهيداً، غاب أمس فجأة، غيَّبوه عن وطني، انتزعوه مني، منّا، منّا كلّنا، قسراً.

هُم إياهم المعروفون بأسمائهم وصفاتهم وجلْدهم وأدوات عملهم، المنتجون الدائمون للقهر والظلام، أعداء الحياة والفرح، أعداء الشعب والحرّية، أعداء الثقافة والمعرفة، أعداء المستقبل (...).

عزائي، وأنا أفتقدك في هذه اللحظة المأسويّة من حياة شعبنا، أنّك أعطيت أروع ما عندك: فكراً وإبداعاً وكفاحاً وصموداً وأملاً، وإنّك شهدت، في أواخر أيّام حياتك ولحظاتها مؤتمر حزبك الذي حلمتَ به وشاركت في صنع قراراته، وأغمضت عينيك وأنت ترى هذا الحزب، حزبك الكبير، منغمساً في الكفاح من أجل انتصار القضيّة التي كنتَ، على أساسها، تُكرِّر دائماً انتسابك إليه، وكان هو يجدّد الثقة بك واحداً من قادته الأفذاذ طبت حيّاً وشهيداً يا رفيق!

كريم مروّة
نائب الأمين العام
للحزب الشيوعي اللبناني
18 ـ 2 ـ 1987

ارتُكبت جريمة شنيعة ضد الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت باغتيال عضو لجنته المركزية الأديب والشخصية الاجتماعية اللبنانية حسين مروّة (. . .) يجدر القول إن الرجعيّين لا يوجّهون سلاحهم ضد الشيوعيين وحدهم، بل

ضدّ كل الوطنيين اللبنانيين، وهدف هذه الجرائم الشنيعة واضح وهو ضرب القوى الوطنية اللبنانية التي تدافع عن طموحات جماهير العمال وعن مصالح لبنان الوطنية.

«البرافدا»

إذا كنّا نعيش في هذه اللحظات فاجعةً كبيرةً في بيروت، فقد كان اغتيال الدكتور الشيخ حسين مروّة أمس فاجعة في الفاجعة (...) هكذا سقط الشيخ الدكتور أمس شهيداً جديداً كبيراً من شهداء بيئة الاختلاط والتواصل اللبنانيين. هذه البيئة التي تقاوم مطحنة الحرب الأهلية منذ إثني عشر عاماً تُقدِّمُ اليوم حسين مروّة ضحية على مذبح المدّ الطائفي... في ذروة هذا المدّ (...) إغتالوه في بيته، فكيف نُبلِّغ الخبر إلى العشرات بل المئات من زملائه ومريديه من أدباء العربيّة؟ كيف نبلّغهم أنّ المكان الذي أنبت حسين مروّة أديباً ومفكّراً وصحافياً، وتعهّده محاوراً في شؤون الفكر والاجتماع، هو نفسه المكان الذي فَقَدَ الذاكرة وصار مسرحاً للجرائم البحت، فشرَّد أبا نزار من حيّهِ إلى غربته إلى أقاربه في قرى الجنوب إلى حيّ جديد

في بيروت، وجعله يموت هكذا شهادة علينا جميعاً، وشهيداً للديموقراطية المشرّدة هي الأخرى منذ زمن في أنحاء لبنان؟

«السفير» 18 ـ 2 ـ 1987

إنّ اغتيال الدكتور حسين مروّة تعبير فظّ عن سقوط حرمة الفكر ورجاله، والصورة اليائسة للمدى الخلقيّ الذي انحدرت إليه هذه الحرب الهمجية. (...) إنّ الدكتور مروّة هو من القلائل الذين لا يشكّل الخلاف في الرأي والعقيدة حاجزاً دون الاحتفاظ لهم بأعلى درجات الاحترام والتقدير.

السيد محمد حسن الأمين
القاضي الجعفري في صيدا

لو سألني صبي، وكنت لا أزال حيّاً، في نهاية الحرب (وهل ستنتهي؟) عن الجريمة الأشدّ هولاً (حرب

لبنان ليست إلا جرائم تتخللّها صرخات حقّ)، لأجبت دون تردّد: اغتيال حسين مروّة.

لم يسبق في كلّ الحروب، وفي ظلّ أشرس السلطات الفاشية، أن نُفِّذ حكم الإعدام (كواتم الصوت دليل قرار اتّخذ بدمٍ بارد) في كاتب أعزل في الثمانين، جريمته أنّه كان، حتى آخر لحظاته، يجرّ قدَّميه جرّاً ليشهد الحقّ والعدالة والإنسان في كلّ مكان.

وربّما جريمتُهُ أيضاً إنه تُوِّج رمزاً لصمود بيروت أثناء الحصار الإسرائيليّ (كان أكثرنا احتمالاً وأقوانا صوتاً).

لكنّ قَتْل الرمز يزيده تألّقاً، ألا يعرفُ القتلة إنّ ثلاثين سنة من الأمن الفرنكوي لم تجعل الناس تنسى دم لوركا، وإن كلّ مياه البحار، يقول إليوار، لا تكفي لغسْل نقطة دمٍ واحدة تسقط من كاتب.

عصام محفوظ ـ «النهار»
1987 ـ 2 ـ 18

والآن، وقد امتدّت أيدي القتلة لتودي بحياة مفكّر مبدع، وتضيف إسمه إلى قائمة المفكّرين العرب الشهداء

الذين أودت بحياتهم قوى الجهل والتعصّب والفوضى، يتساءل الإنسان: ترى هل مات حسين مروّة؟

ويأتي الجواب: لا! فلكي تقتل مفكّراً مثل حسين مروّة يتعيّن عليك أن تحرق ـ مثل هولاكو ـ المكتبات المنتشرة في أطراف الأرض الأربعة. وويل لأمة تسمح بقتل مفكّريها!

سامي عطفة ـ «البعث»

لئن كنتَ قد ارتديتَ باكراً رداء الشهادة، ولئن كنت قد تمرَّست بالأناة بسبب ذلك، وعبرت الكثير من حقول الألغام، سواء في أرض لبنان أم أرض العراق، ولئن كنت دفعت غالي الثمن، وجهّزت نفسك لدفع المزيد، ولكن ما نحسبُك وقد شارفْتَ على الثمانين (. . .) قد وقع في ظنّك أن تستقبل في بيتك، حقل اختباراتك الأدبيّة وميدان فتوحاتك الفكريّة، غير مواكب المقدِّرين في أمّتك لعلمك العظيم، وغير الناقلين إليك منها سلال الورد وعرفان الجميل.

المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

في هذه المعركة الشجاعة التي يخوضها الحزب الشيوعيّ اللبنانيّ مع قوى ديموقراطيّة أخرى في مواجهة هذا الاعتداء الدنيء السافل، فإن حزبكم يدفع الضريبة غالياً... أخصُّ وبإجلال كبير حسين مروّة الذي اغتيل في منزله، وهو المثقّف الماركسي الشيوعي والمعروف كثيراً على صعيد العالم العربي وعلى الصعيد الدولي. إنّ اغتيال حسين مروّة يبيّن الأبعاد الخطيرة للقوى الظلاميّة التي تعارض وبكلّ الوسائل الحلّ الوطني الديموقراطي في لبنان. ولأنّ حسين مروّة يجسّد بصورة عالية وعلى أفضل وجه هذا الحلّ فإنّه قد قُتِل.

جورج مارشيه
الأمين العام
للحزب الشيوعي الفرنسي

في بيروت التي اختصّها بحبّه الكبير وآثر البقاء فيها أيّام الحصار فغنّاها أجمل كلمات الصمود والشجاعة والأمل فكرّمته بَنْيلِ جائزتها الأولى بإجماع الاتحاد العامّ للكتّاب والأدباء العرب.

جريمة بالغة البشاعة، بها انحدر الفعل الفاشيّ إلى قاع الانحطاط والفاشية (...). نحن المثقّفين اللبنانيين على مختلف انتماءاتنا الفكرية والسياسية، وقد روّعنا هول الجريمة، نعرب عن أشدّ مشاعر الغضب والإدانة ونشجب هذه الاستباحة الآثمة للعقل والثقافة والديموقراطية ولحرمة الحياة وكرامة الإنسان، ونرى فيها اعتداءً شنيعاً على قيم الفكر والإبداع وتهديداً مباشراً لكلٍّ مفكّر ومبدع.

وندعو جميع المثقّفين في البلاد العربية وفي العالم إلى المشاركة في أوسع حملة استنكار لاغتيال حسين مروّة، الوجه الثقافيّ البارز والمناضل الوطني الكبير، كما ندعوهم إلى التضامن مع شعبنا ومثقّفيه دفاعاً عن حرية الرأي والتعبير، عن الديموقراطية وعن كرامة الحياة.

بيان المثقفين اللبنانيين

إنّ رفيقنا البارز الدكتور حسين مروّة عضو مجلس تحرير مجلة «النهج»، (...) والشخصية الثقافية التقدمية البارزة في العالم العربي قد اغتيل بوحشية في بيروت في 17 شباط من قِبَلِ عصابة مجرمة. نحن نتطلّع إلى أن

تدينوا هذه الجريمة البربريّة، والاحتجاج ضد كلّ قوى الجهل والظلام والتعصّب التي أعدَّت لهذا الاغتيال.

فخري كريم ـ «مجلة النهج»

كان لاستشهاد المفكّر المناضل حسين مروّة بيد آثمة اغتالته في منزله في بيروت وقع الصاعقة على جميع المثقفّين والمناضلين العرب العارفين بفضل الفقيد الكبير وإسهاماته الرائدة في الفكر والثقافة التقدمية العربية على مدى أكثر من نصف قرن، تلك الاسهامات التي أغنت ثقافتنا الوطنية التقدمية (. . .) إنّ المثقفين العرب في باريس بكافّة انتماءاتهم وأفكارهم يدينون هذه الجريمة النكراء، التي لا تصيب مناضلاً فذّاً فحسب، بل تصيب الفكر والثقافة الوطنية والقومية والإنسانية التي جسّدها هذا المفكّر البطل بحياته ذاتها.

المثقّفون العرب في باريس

من قتل حسين مروّة؟

لقد قتل الظلاميون، المذهبيون الطائفيون العابثون بأمن الشعب ومصير الوطن، العاملون تدميراً وتهديداً (. . .) لكلّ ما له علاقة بالثقافة والديموقراطيّة، لكلّ ما له علاقة بالمعرفة (. . .) قتلوا حسين مروّة.

من بيان
اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني

إنّ الأحزاب الشيوعية والعمّالية في البلدان العربية التي تلقّت بذهول مقرون بالغضب إقدام عصابات القهر والتعسّف والجهل والظلامية التي تحكّمت طويلاً بمدينة بيروت على اغتيال المفكّر الإنساني والفيلسوف العربي الكبير الرفيق حسين مروّة (. . .) تعلن إدانتها الشديدة لمدبّري هذه الجريمة المنكرة بحقّ الإنسان والفكر والمعتقد والثقافة والمعرفة.

الأحزاب الشيوعية والعمالية العربية

فهل عرف القاتل الذي لا بدّ أن يكون بلا ذاكرة، أنّ هذا الشيخ الجليل ممثّلٌ للأصالة والتراث، في معنييهما الوجداني والحياتي، أكثر بكثير من الذين دفعوه إلى الاغتيال؟

«السفير»

إنّ اتحاد الكتّاب اللبنانيين إذ يتقدّم بأحرّ التعازي لشعبنا ومقاومته الوطنية وكتّابه ومثقفيه، ومن حزب حسين مروّة، الحزب الشيوعي اللبناني، يتوجّه إلى الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب واتحادات الكتّاب العرب، وإلى جميع الكتّاب والمثقّفين في الوطن العربي وفي العالم قاطبة والى اتحاد كتّاب آسيا وأفريقيا برفع الصوت عالياً مدويّاً في إدانة هذه الجريمة النكراء ومرتكبيها من ظلاميين ومذهبيين وفاشيين.

اتّحاد الكتّاب اللبنانيين
الهيئة الإدارية

لقد ساءهم أن يكون الشهيد رمزاً لصمود بيروت في وجه الغزو الإسرائيلي، وتصدّي بيروت لعملائه واستعادتها وجهها الوطني والتقدمي. لم يرقْ لهم أن يروا هذا الوجه العريق يتبوّأ تلك المكانة المرموقة في قلب بيروت عاصمة صمود الأمة، ومنطلق الدعوة والعمل لإعادة توحيد لبنان على قاعدة المشروع الوطني الديموقراطي، فأعملوا في بيروت نصال الخيانة والانتهاكات إلى حدّ ارتكاب الكبائر. وهذه وصمة عار على جبين الفئويين والمذهبيين الجهلة.

منظمة الحزب الشيوعي اللبناني
في الجنوب

إنّ الأيادي التي امتدّت لتغتال واحداً من مشاعل الفكر العربي والإنساني وباحثاً من أبدع الباحثين العلميّين أثبتت وبالملموس هويّتها الإرهابية وعداءها الصارخ لكلّ ما هو علماني وتقدّمي وحضاري (...) إنّنا نعتقد أنّ مثل هذه الأعمال لا تجد تفسيرها إلّا في خوف مدبّريها من

دور العالِم والباحث حسين مروّة في اكتشاف الحقائق وإيصالها إلى الجماهير العربية والإسلامية التي لا تزال ترزح تحت كابوس الشعوذات والتضليلات الزائفة.

الحزب الاشتراكي اليمني

حسين مروّة، العالم، المفكّر، الأديب، الكاتب، رجل الدين والعلم والفقه، الشيوعي الملتزم، تاريخ بذاته، اغتاله أعداء العلم والأدب والحضارة وأعداء النضال الوطني والقومي.

مصطفى معروف سعد

إنّ اغتيال حسين مروّة الأديب الملتزم بقضايا شعبه وأمّته، المناضل المثابر لأكثر من نصف قرن في سبيل حرّية الوطن ووحدته ومساواة المواطن، يقع ضحية هذا المسلسل العشوائي من العنف اللامحدود والتزمُّتِ المريض الآخذ بالطغيان على مختلف مجالات الفكر والعمل.

كلوفيس مقصود

إنّ اغتيال حسين مروّة جريمة جديدة من جرائم الفاشية والظلامية المذهبية التي تفنّنت في مطاردة الفكر الحرّ في العالم العربي كلّه (...) إنّ المهزوم الجبان يمكن أن يرتكب أشنع الجرائم وأكثرها جبناً وخِسّة، لكنّه لن يستطيع تدارك الهزيمة التي تصبح محتومة.

رابطة الكتاب والصحافيين
والفنانين الديموقراطيين العراقيين

كلّما أسفرت الطائفية عن دلالاتها تعدّدت الأسباب التي تجعل حسين مروّة قتيلاً، يذهب شهيداً في صراع الوعي التاريخي اللامتكافىء، ويُقتَل لأنّه يقول بموضوعية المعرفة وبأولوية المجتمع على الطائفة ويهتك تضليل الطائفة أمام وضوح الطبقة (...).

اغتيال حسين مروّة صوّر طموحه لمشروع سياسي ـ أيديولوجي لا يحجب طموحه. هو اغتيال لكلّ من يدافع عن حقّ الإنسان العربي في الوجود الحرّ والمجتمع

المتقدّم والدولة المستقلّة، ولكلّ من يستنهض الشعب في معركة التحرّر والاستقلال الوطني.

فيصل درّاج ـ هادي العلوي

هو الظلام إذن. هو الظلام. قانون ظلام، يسنّه كهنة ظلام، يمتشقون أسلحة ظلام ويؤسّسون لمملكة عمياء طائشة (...) ويعمّمون قانون الظلمة على ميراث الآخرين. وإذن من قتل حسين مروّة؟ نعرف من قتل حسين مروّة. ومَنْ بعد حسين مروّة؟ كثيرون ينتظرون الدور.

نزيه أبو عفش

إنّ اغتيال المفكّر التنويري حسين مروّة مرآة صادقة لنظرٍ وعملٍ قوى الثورة المضادّة التي تحارب كلّ من يدافع عن العقل والإنسان والوطن، ولهذا فإنّها حين تغتال الدكتور حسين مروّة تغتال فيه كلّ قلم ديموقراطي وموقف

وطنيّ... هي في هذا الاغتيال لا تغيّب عن الفكر العربي كاتباً وطنياً، بل تعلن حربها الصريحة ضد العقل التنويري العربي كلّه، فكأنها في وحشيّتها وانحطاطها تسعى إلى اجتثاث الجذور العقلانية، ساعية إلى تثبيت كلّ ما هو مهزوم، حالمة بمستقبل تُهيمن عليه الهزيمة والظلامية.

بيان المثقفين العرب

الثقافة هي العنصر التوحيدي الأساسي لتاريخ لبنان وشعبه، وهم التقسيميّون، فكيف لا يلغون هذا العصر كي ينعموا بحالاتهم التقسيمية المرضيّة الفتّاكة؟ الثقافة كأساس صراع للأفكار والتوجّهات الأيديولوجية المتغايرة، مظهر ديموقراطي، وهم فاشيّون، جميعهم فاشيّون، فكيف لا يغتالون هذا المظهر الديموقراطي؟ التعدّد الثقافي ضمن الوحدة العضوية اللبنانية والعربية فضيحة لأحاديّة الكيان الصهيوني، وهم، أي الطائفيّون حالات وظواهر صهيونية متعدّدة الأقنعة، فكيف لا يغتالون هذا التعدّد ليخدموا الكيانيّة الصهيونية العنصرية؟

بول شاوول ـ مجلة «المستقبل»

هُزِمَت بيروت على يد من يدّعون حراستها و حمايتها، ويبكون عليها في إذاعاتهم ويتباكون على عصمتها في صحفهم وخطبهم ونواديهم.

بيروت لم تُهزَم كما هُزمت أمس، فقد اسْتُشهِدت والحسين معاً! الذين اغتالوا حسين مروّة هم الذين اغتالوك يا عاصمة الصمود والتصدّي. نعم، هكذا كان الاستشهاد للعاصمة وهكذا كان الاستشهاد للمُعتصم!

محمّد أمين دوغان ـ جريدة «الشعب»

قالوا في المفكّر والإنسان

قتلوا حسين مروّة الإنسان البالغ الوداعة الذي لم يتخلَّ يوماً عن وداعته إلا مدافعاً عن الحرية، أو مواجهاً لعدوان عليها أو على مكافح من أجلها. قتلوا الأديب الذي ما تلوَّثت كلمته يوماً برياءٍ أو خيانة للقيم الوطنية والقومية والإنسانية. قتلوا الكاتب الثائر الذي نذر قلمه وحياته للدفاع عن المظلومين والمحرومين، المجابهة القهر والتخلّف والاستكانة.. قتلوا شيخ الثقافة الذي أجمع قادة الفكر في آسيا وأفريقيا والوطن العربي على تكريمه كعلم من أعلام النضال التقدّمي وسيّد من أسياد الكلمة النظيفة الشجاعة المقاتلة. لم يخجلوا من وقار الثمانين الذي جلّل هامته ولم يخجلوا من ماضيه المثقل بالكفاح المرّ الطويل. لم يخجلوا من حصاد أيامه الذي قدمه زاداً

لأجيال هذا الوطن بسخاءٍ وتواضعٍ وإنكارٍ للذات ووهبه غذاءً للوجدان والعقل العربيّين.

أحمد سويد
الأمين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين

حسين مروّة، إبن جبل عامل، الفلّاح الفقير، سافر إلى العراق وتخصّص بالدين الإسلاميّ في النجف.
رفض أن تكون علومه الدينيّة سلكاً للعيش والارتزاق، بل محطّة نقلته إلى العمل الثوري الديموقراطي، والنضال الفكري بغية التغيير في العالم العربي (. . .)
حسين مروّة إبن الأصالة العربية الحقّة. فالفكر الثوري له لا يُستَوْرَد، إنّما هو نابع من التراث، ويلتقي في نهاية المطاف مع الفكر الثوري العالمي.
حسين مروّة أحد كبار الأدباء العرب، والناقد الأدبي العلمي، انكبَّ على التراث العربي يفتّش فيه عن سماته الثورية من منطلقات علمية معاصرة لا سلفيّة متخلّفة عن منهجية عصرنا. لقد حمل همّ البحث الجادّ الدؤوب عن

معرفة للتراث تقوم على الفكر العلمي، لا على الفكر الغيبي، أي تقوم على النظر إلى التراث في واقعيّته، أي في تاريخيّته، أي في كونه واقعاً تاريخيّاً تكوّن وتمظهر بفعل قوانين واقعية، مادية، موضوعية، وكونية، ضمن قوانين «الخصوصية» التاريخية للمجتمع المعين الذي ينتسب إليه، كما كتب في مقدّمة كتابه «تراثنا كيف نعرفه».

الأب انطوان ضو ـ النهار

لقد كان حسين مروّة شيخاً جليلاً ومفكّراً كبيراً قدّم إضافات هامّة للثقافة الوطنية العربية، وساهم بفعاليّة في إغناء الفكر التقدمي وأدّى واجبه على الجبهة الثقافية والفكرية، وارتبط بعلاقات كفاحية مع الكتّاب والمفكّرين الطليعيين في بلدان العالم كافة.

يحيى خلف

النهاية الفاجعة لحسين مروّة أحد أبرز الوجوه الثقافية

في لبنان، ستمنح دوماً آثاره هالة تزداد تألّقاً مع الزمن، لها كلّ ثقل الموقف المعمَّد بالدم. وكأنّه كان أميناً للتراث التمرّدي في التاريخ العربي كلّه الذي عرف أيضاً فواجع شخصية شبيهة، كان مروّة يتذكّرها بحزن في إحدى مقالاته في مجلة «الموقف الأدبي» في عام 1985.

وصل مروّة بدمه هذا الخيط الذي لا ينقطع في التراث الإنساني كلّه، والذي غذّاه كلّ شهداء الكلمة المسؤولة في كل مكان.

أنجز أعماله النقدية الأدبية والفلسفية بهاجس واحد: التقدّم. لم يغفل مرّة عن هذا الهاجس حتى في أحلك اللحظات، بل كانت اللحظات الحالكة دافعه الأقوى.

كان كلّما تقدّم به العمر ووهن منه الجسد ازداد نضارةً في كلماته وشباباً في اندفاعاته.

في نقده الأدبي كما في نقده الفلسفي لم يتوقّف عن التطوّر والتطوير، كما هي الحياة.

ولم يمنعه التزامه بمنهج محدّد مَنْح هذا المنهج تطبيقاً ينسجم مع حركة الحياة التي هي دائماً خضراء، كما يقول غوته.

كان طليعيّاً بكلّ ما تعنيه الكلمة، وكان رسوليَّ النهج

والقدوة. وأثّرت رسالتُهُ، كما نَهْجُه، في الكثيرين من حوله، فوجد نفسه في التيّار الذي اندفع فيه وحمل لواءه مرْكَز ثقلٍ أكيداً، فاغتنى به وأغنى. وكان لجاذبيّته الشخصيّة وعمادها المحبّة والطيبة والتواضع أثرُها في تعزيز مركز الثقل هذا الذي كانَهُ في الحركة التي التزم بها، كأفق واضح من آفاق تحرير الإنسان قلباً وقالباً.

عصام محفوظ ـ «النهار»

هل يعرف القاتل من أيّ مخاض شخصي وثقافي وسياسي غرف حسين مروّة منذ نعومة أظفاره، خياراته الفكرية التي ظلّت في عنف توهّجها حواريّةً كما هو السلام حواري، ديموقراطية كما هو التواصل ديموقراطي؟ من حدّاثا في جبل عامل، إلى النجف، إلى بغداد، إلى بيروت مثقّفاً عاملاً في الحزب الشيوعي اللبناني، حاملاً إلى الحزب خصوصية تجربته وقلقها، وحاملاً إلى الآخرين، سيّما من رعيله، تمايز الاختيار الاشتراكي العلمي (. . .). الأب الروحي لمئات الأدباء العرب من الماركسيين وغير الماركسيّين. صورة حيّة للحضارة العربية

كما تجلّت في النادي البيروتي الحرّ، المنفتح على هموم المنطقة العربية والشرق بكل دراية ومسؤولية وبتنوّعٍ غني في وجهات النظر.

جريدة «السفير»

إنّ حسين مروّة ليس للبنان فقط، بل هو للعرب جميعاً، وهو للعلم والثقافة والتراث، وللنبالة والدماثة وللخلق الكريم. الأمر الذي يحار المرء معه في فهم دوافع اغتياله على هذا النحو الفاجع الذي لم يرحم فيه عبقرية ولا راعى حرمة شيخوخة، ولا دارى رهبةً أمام إنسانيّة عالم أعطى الإنسانية والعروبة كلّ كيانه، وكرّس حياته للنضال بالكلمة والموقف في سبيل مجد لبنان وتحريره من الغزاة، وجَبْه الإمبرياليّة التي أرادت أن تجعل منه محميّة، فدحر صمودُ الشعب اللبناني عدوانها، وأجْلَتْها المقاومة اللبنانية الباسلة وردَّتها على أعقابها.

حنّا مينا ـ دمشق

عرفت الكثيرين، من شيوعيين وغير شيوعيين، ولكنّني وقفت دائماً خاشعاً أمام تواضع حسين مروّة شيخ الأدباء والكتاب، وشيخ المتواضعين.

كم من المرّات أتيت إليه في منزله مستأذناً السماح بإجراء لقاءٍ مع صديق أو رفيق في منزله. ولطالما وبّخني بلطف قائلاً: البيت لكم، ونحن لكم والكلّ بتصرّفكم وليس من لزوم للطلب المسبق (. . .). نعم عرفته في حصرايل، وفي مكتب انطون تابت، وفي زياراتنا المتابعة إلى عميد الأدب العربي مارون عبّود في عين كفاع، وفي صرح صحافتنا: «الصرخة» فـ «الثقافة الوطنية» ثم «الأخبار» ثم «النداء» ثم «الطريق». عرفته في لبنان وفي موسكو، واعتقد أنّي عبرتُ إلى حقيقته كما عبر هو إلى حقيقتي.

يوسف خطار الحلو

اليمين لا يغفر لحسين مروّة خروجه العظيم من قماقم الغيبيّة. لا يريد لهذا الاسم الرمز، النموذج للتحرر الذاتي من الوهم والأسطورة والمثاليّة الروحانيّة، أن يظلّ نابضاً

بالعقل والفكر والحياة. إنّ حسين مروّة واحد من قلّةٍ قليلة من المثقّفين العرب الذين عاشوا يساريّتهم في واقع شعبهم وبلادهم. صحيح أنه انفعل بالكتب وتفاعل معها، ولكنّه استطاع أن يخرج من قماقم الكتب إلى سهول الحياة الوطنية وجبالها ووديانها، ويلتحم بمعاناتها وشخصيّاتها وأحلامها. إنّه واحد من أندر المثقفين الذين توغّلوا في التراث العربي وفي الواقع العربي الراهن بعقل يساري جدلي مادي. وقد أعطانا في توغله هذا فهماً أفضل وأصحَّ لهذا التراث وهذا الواقع، ووعياً أشمل وأدقّ وأضبط، ومقدرة راسخة على الفعل الثوري المستجيب لحاجات بشر معيّنين في منطقة معيّنة.

هاني الراهب ـ دمشق

إنّ ما يعتزّ به الشيوعيون العراقيون هو أنّ أحد قادتهم الأبطال، وأحد مؤسّسي الحزب الشيوعي العراقي في 31 آذار 1934، الشهيد حسين محمّد الشبيبي، ابن مدينة النجف الباسلة، كان الحافز الأول لدى حسين مروّة في تثبيت كينونته الماركسية ثقافيّاً وأيديولوجيّاً، عندما حثّه

على قراءة «البيان الشيوعي»، وهو ما ذكره مروّة في الحوار مع جريدة «السفير» (21/ 2/ 1980) ولا يخفى ان الشهيد الشبيبي الذي أعدمه نوري السعيد في 14 شباط 1949 كان مهتمّاً ودارساً وناقداً للتراث العربي الإسلامي، كما كان شاعراً معروفاً في الأوساط الأدبية النجفية.

جنان جاسم حلاوي

تبقى مسألة أساسية يجب أن نتّفق بشأنها. حسين مروّة كان في فكره وعمله التطبيقي ماركسيّاً ملتزماً. وهو منذ الستينيات ماركسي عربي إسلامي ملتزم. فأين الخطأ؟ وأين المشكلة؟ ألم يحمل هذا الفكر حسين مروّة على تفجير طاقات الفكر العربي الإسلامي في خدمة التراث والوطن والأمة؟ ولو أدرك الذين أنهوا حياة الرجل أنّه كان في أساس اكتشاف واستعادة الماركسيين اللبنانيين لبعدهم القومي العربي ـ وأكاد أقول الإسلامي ـ أقول لو أدرك هؤلاء هذه الحقائق فلربّما كانوا تردّدوا كثيراً في تنفيذ ما أقدموا عليه ـ ولعلّهم لم يرتكبوا!

محمد عيتاني ـ «اللواء»

ها نحن نودّعك ونشهد بأنّك ما استعْدَيْت إلا ظالماً هو بنظامه قامع مستبدّ. حاورت الجميع، ناقداً متسامحاً، مستكشفاً أفق المعارف، صارماً في الحقّ حتى ضدّ نفسك، صادقاً، والحقّ عندك في التغيير في خدمة الإنسان. حاورت الرفاق والأصدقاء، وحتى خصوماً هم في حوارك أصدقاؤك فلماذا قتلوك؟ لأنّك الرمز، تنخسف الظلاميّة كلّما خطّت يداك النهج في بحث التراث، ترى فيه الصراع المستديم بين قوى القهر وقوى الحرّية، بين العقل والجهل. ألهذا قتلوك؟ لأنّك قلت إن الفلسفة العربية الإسلامية ليست واحدة، بل متناقضة، يتجاذبها تيّاران: تيّار النور وتيّار الظلمات، تيّار الثائرين وتيّار المستبدّين حتى بالدين، وطبعاً بالإنسان، لأنّك أثبتَّ أنّهم كذبوا. قتلوك وأثبتَّ أنّ قاعدة الفكر في وثباته الخلّاقة علمية وثورية.

من الجنوب انطلقت، فأطلقت الجنوب وفكر الجنوب، وقلت: يا أيّها المثقّفون اتّحدوا ضدّ الطغيان. ولتكن كلماتكم سلاحكم. أنتم أقلام الطبقة العاملة. ألهذا قتلوك؟ لأنّك الشيعي الشيوعي.

مهدي عامل يوم وداع رفيقه

حين سقط حسين مروّة وحيداً وأعزل كان شهادة للحرية. حرية الكتابة وحرية المجتمع وحرية الإنسان.

في موته، كما في حياته، قدّم هذا الرجل شهادة للحرية وللكتابة الحرّة. اختار انتماءه وحوّله إلى ميدان بحث وتجدُّد لم يتراجع ولم تنهزم روحه وسط كلّ الهزائم. ونحن الذين رأينا في موته شيئاً من موتنا، نريد أن نتعلّم من هذا الموت حبّ الحياة.

إلياس خوري ـ «السفير»

محاوراً كان حسين مروّة في كل ما كتب وفي كل سلوك سلك. فهو يصغي ولا يعظ، يخاطب ولا يملي، يبحث ولا يفرض. وهو اذ يُقدّم المعرفة يقدّمها موضوعاً قابلاً للنّقاش. لأنّه كان يعلم أنّ التقدم هو اختلاف الواقع، وهو تغيّر أحواله، وأنّ المعرفة هي معرفة هذا التغيّر المستمر. هكذا ارتبطت عنده مقولة الحوار والنقاش بمقولة التقدّم، واستدعيا معاً حرّية الفكر وديموقراطيته.

محاوراً كان، يناقش من خالفوه الرؤية والنظر إلى واقع الأمور باحترام حقيقي. فاحترامه لم يكن مجرّد

قاموس من الألفاظ البروتوكوليّة، ولا تخريجاً شكليّاً لتجريح ضمنيّ. بل كان احترامه هذا ممارسة فعليّة لنشاط الفكر ولقدراته على العطاء.

يمنى العيد ـ «السفير»

حضور مروّة كان من الألف إلى الياء مكرّساً لإزالة غبار الأزمنة عن كلّ ما هو عقلاني في تراثنا. وغيابه كان حاضراً على جدول أعمال أشدّ ممثّلي السلفية الراهنة تخلّفاً وجهلاً. لقد تعمَّد هذا الغياب بالدم، فبات الحضور الفكري أشدّ وهجاً.

السلفيّة الراهنة هي إحدى الصور الساطعة للّاعقلانية في العالم العربي. إنّها سكونيّة ملتفتة إلى الماضي، ترى إليه وفيه عالماً قابلاً للتكرار، جاعلة المستقبل بذلك ماثلاً في الماضي.

إحدى مآثر مروّة هي النقد العلمي الموَجَّه إلى هذه السكونية، بوجْهها الغربي ـ الاستشراقي وبوجْهها العربي ـ السلفي.

فالح عبد الجبار ـ «الحرية»

وتعترف واقعية حسين مروّة بالتاريخ، أي بالتحوّلات الاجتماعية الشاملة التي تنكر مفاهيم الثبات والسكون والسرمدية، والتي ترى أنّ كل شيء يتبدّل، ويجب تبديله، وأن كلّ شيء يتغيّر، ويجب تغييره. وبما أنّ العقل الإنساني قادر على المعرفة والإبداع في واقعية حسين مروّة، فإنّ هذا العقل قادر على قراءة التاريخ واستخلاص القوانين والاتّكاء على تاريخ معرفي إنساني شامل. إنّ وحدة الفعل والمعرفة هي السمة الأساسية والواقعية، وحدة لا انفكاك فيها تترجم المسار العظيم الذي قطعه الفكر الإنساني المدافع عن القيم الإنسانية. أما الفكر التظليمي فإنه يطلق النار على التاريخ، لأنّه يعترف فقط بالزمن المجرّد، زمن الغريزة والبلاغة والنصوص السرمدية. إنّ الزمن السرمدي الساكن الذي يأخذ به الفكر الإظلامي يجعله يجهل مفهوم التراكم الإنساني، سواء كان ذلك على صعيد المعرفة أم القيم أم الممارسات الإيجابيّة، فهو لا يراكم إلّا الجانب المظلم من التاريخ الإنساني.

فيصل درّاج ـ «السفير»

إنّه شيخ حقيقي في نقده وأدبه وفلسفته، وفي التزامه التقدّمي وفي سلوكه النزيه، كشيوعي لبناني وعربي وعالمي معاً. وهو نموذج كامل للمثقّف العربي التقدّمي في القرن العشرين. فصلَ بين جيلين في النقد الأدبي ووصلهما بنقد جديد هو النقد السياسي الجريء في الأدب والفلسفة. ثم فصل بين جيلين وتيّارين في الأدب، إلى أن توّج مسار نقده المعرفي بالفصل بين الفلسفة العتيقة والفلسفة التقدّمية.

د. خليل احمد خليل ـ ندوة بيت الدين

ما من شكّ أن مفكّراً ينجز ما أنجزه، ويبذل من سنوات العمر في سبيل أن يضع تراثنا في النور ما بذل، خليق بالتكرمة في الحياة، والتجلّة في الممات، وجدير بأن نغضب لاغتياله غضباً عاصفاً، غضباً لا نجد المفردات التي تعبّر عنه، لأنّ الكلمات لا تقدر أن تجسّد اللوعة التي ألمّت بنا، نحن أصدقاءه وزملاءه، وتجسّد في المقابل مشاعر الاستنكار لهذه الحادثة الفاجعة التي

استهدفت الفكر العربي، والأدب العربي، والثقافة العربية (. . .) لذلك من الصعب تصوّر الحياة الفكرية العربية في وقتنا الراهن من دون حسين مروّة، (. . .) ومن العسير أن نجد إنساناً على مثل عقله الراجح، وبيانه الساحر، وثقافته الشاملة، ودماثته وعذوبته وصفائه ونبله، ممّا يؤكّد أن الثقافة وحدها هي التي تجعل ثقافة الروح أمراً ممكناً، وأنّ الوداعة هي أساس الشجاعة، وأن رقّة الماء التي كانها هي قساوته التي كان أيضاً. فقد أدرك الشهيد كيف يكون رقيقاً وكيف يكون قاسياً، فأعطى الوطن والشعب والإنسانية رقّته، وأعطى أعداء الوطن والشعب والإنسانية قسوته. (. . .) لقد استباحوا، باغتيال حسين مروّة، جمال اللفظة الجميلة، ووأدوا في قاع الموت الصرخةَ البكر، وكلمة الصدق صارت عقاباً أو تنكفىء. وما انكفأ صاحبها فعاقبوه عليها. والمفكّر، الفنّان، المبدع، الذي هو شاهد على عصره، صار العصر شاهداً عليه، كما صار العصر شاهداً علينا، ولا مندوحة، بعدُ، للهرب، فإمّا المواجهة أو الشهادة، وصاحب القلم، في دنيانا، يحمل شهادته على كتفيه ويسير بها، لأنّه يرفض أن يُشنق قمرُ الصدق على وعود الأكذوبة (. . .).

الآن سيغيِّبُ الثرى جثمان الشهيد، وستلمع نجمة في مكان ما من السماء. وفي أرواحنا سيرقد الأسى. لكنّ دمشق ستتباهى بأن تربتها ضمّت جسداً طهوراً، وسيذكر التاريخ أنه في هذه البقعة من الأرض نام الذي أيقظ الحقائق، وأنه هنا، إلى جوار الغوطة وقاسيون يستريح، بعد أن تضمّخ مثلهما بالغالية والمجد.

نجاح العطّار
وزيرة الثقافة في الجمهورية العربية السورية

حدّثني صديق قال: في أجهزة اللاسلكي قال واحدهم للآخر: قتلنا لهم رأس! فردّ الآخر: ما تحكي شي!

وبعدئذ عُرف أن الرأس الذي قتلوه كان رأس حسين مروّة، كان رأسنا نحن. كان الرأس الذي أعطى الفكر والثقافة والإبداع، وظلّ مرفوعاً عالياً طيلة السنوات الثماني والسبعين التي عاشها محبّاً للبنان، لفلسطين، للوطن العربيّ، لفقراء العرب، للإنسانيّة في كل مكان، مكافحاً من أجل المشروع الاشتراكي. لقد قتلوا رأساً

(...) الشيوعيّون ليسوا وحدهم حزبه، نحن حزبه، نحن فقراء العرب. أنظروا إلى جنازته التي سارت إلى السيّدة زينب قرب مخيّم اليرموك، أنظروا إلى الفلسطينيين الذين مشوا وراءه برؤوس مرفوعة لأنّه رأسهم الذي حاول أصحاب العقول والأيدي السوداء قتله. (...) لقد ترك حسين مروّة لرؤوس العرب القادمين زاداً كثيراً. ولم يترك القتلة إلّا ذكريات الموت والبشاعة.

رشاد أبو شاور ـ «الهدف»

إنّ حالة التكامل والتفاعل الجدلي بين عمل حسين مروّة الأديب المفكّر ونشاطه كمناضل يخوض بكلّية كيانه معركة شعبه وأمّته ومعارك التحرّر في كلّ أرضٍ هي التي تعطي كتاباته وهجها اليقينيّ ولفْح حرارة الصدق والمعنى الرسوليّ فيها، وساعدت في احتلاله موقعه الرائد والطليعي في الحركة الثقافية في لبنان والعالم العربي والعالم الثالث.

د. علي سعد ـ ندوة بيت الدين

يحتلّ الدكتور حسين مروّة مكاناً بارزاً في الفكر العربي المعاصر. فمروّة جمع، في مكوّناته الفكرية ما بين مكوّنات دينيّة الأصل، ومكوّنات أخرى مادّية، ومن هنا فإن المحصّلة التي توصّل إليها الدكتور مروّة تكاد تكون فريدة في نوعها في إطار هذا الفكر الذي نعيشه اليوم.

د. حليم يازجي ـ من ندوة تلفزيونيّة

حسين مروّة، إنسانُ الصدق والنبل والتواضع، والأصيل وداعةً ونصاعةَ وجدانٍ، السيّدُ انفتاحَ فكر ورحابة صدر. هو نموذج رائد للمشروع العربي النهضوي الجديد، فهو الكاتب اللبناني الطليعي، وهو الابن البارّ للتراث العربي ـ الإسلامي، المفكّر الواعي حقائق عصره، المناضل من أجل الحرّية والأصالة والتغيير، المجسّد بحياته الكفاحية الانسجام الرائع بين الفكر والممارسة. من التراث بدأ سيرته الفكرية وفي التراث استمرّ مزوّداً بمنهج علميٍّ به رأى الفكر والتراث إغناءً لروح العصر.

من بيان المثقّفين اللبنانيين

المحتويات